



# مراجعة كتب

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

جمادى الأولى 1441هـ - يناير 2020م

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الذين تأثروا بالثقافة العربية السير إدوين أرنولد Sir Edwin Arnold، (1832-1904) وهو صحفي وشاعر إنجليزي، عمل محررا لجريدة الديلي تيلجراف. عرف نقديا باهتمامه بترجمة الحياة والفلسفة الشرقية في شعره، ومن أهم أعماله في ذلك «ضياء آسيا» The Light of Asia، الذي ظهر سنة 1879، وهو عبارة عن ملحمة شعرية حول تعاليم بودا، حقق من خلالها شهرة واسعة في بريطانيا وأمريكا. من قصائده التي تبين تأثره بالثقافة العربية هذه القصيدة:

#### السَّوَارُ الأَفْعَوَانِي

يُحكي عن عَدَارِي عَرَبِيَّاتٍ، بأغنياتهنَّ الحُلُوَّة الهَادِئَةِ،  
يستلطن ترويض الثعابين الخضراء المتموجة؛ فتجنم مرتعدة  
عند أقدامهن،  
وتلتف حولهن بغنج ورقة،  
وهن ينسجن منها أساور مضممة بالحياة، وسلاسل من الذهب.  
وهكذا أكرمهن الله، فلن يدقن أبد، ما كرت السنين،  
طعم الشقاء، و لن يعرفن البكاء؛  
وسينعمن بالحب الخالص والسعادة مدى الحياة،  
ومتواهن الأخير عرش مُمرّد من قوارير في جنان من الحور.  
لذلك يا عزيزتي إيميلي عسى أن يكون السَّوَارُ الأَفْعَوَانِي الذي  
أرسله إليك

تعويدة للسعادة الأبدية، إنه لك؛

في الفرح أو الحزن، في الشدة أو الرخاء، حكاية تحكي للأبد،  
أن ذكراك تسكن قلبا مخلصا لا يعرف غيرك.  
إنه لن يخف الحزن؛ ولكن حين يكون الحزن صعب الاحتمال،  
سيهمس لك أن هناك شخصا غاية سعادته أن يشاركك الحزن؛  
قد لا يجلب لك سعادة مثل سعادة العَدَارِي العَرَبِيَّاتِ، لكنه على  
الأقل

قد يُذكرك بمدى عشقي لابتسامتك الإنجليزية الجدلى.

لن أرسل إليك حلية تُضيف شيئا لجمالك الإلهي،

فلا شيء أكثر إشراقا من جمالك، ولا شيء أجمل من وجهك؛

أنت فن جميل لا تضاهيه الجواهر، انظري

كيف روض قلبا لا يروض، وكيف جعل عقلي ملكا لك.

حين يكون السَّوَارُ قريبا منك، وأرواحه لم تسجد لك أبدا،

ولم تعرفك كما عرفتك أنا، ولم تشعر بك كما شعرت أنا؛

حينها إذا التفت بمغصمك، وأنا بعيد عنك،

أواه!

فلتدعي لمسته الوفيه الحانية تشفع لي بصمت عندك.

بعض الشفاء يمكنها أن تتحدث إليك ببلاغة صامتة،

بعض الأصوات لها سحر لا أعرفه أبدا؛

لذا اسمحي لقلبك أن يقول بسكينة وهدوء:

«ذكري في قلبه، كسواره على مغصمي.»



• البحث عن الفينيقيين  
• جوزفين كرولي كوين



• ابن رشد.  
• ماتيو دي جيوفاني



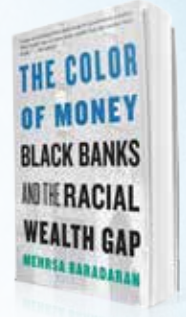
• نيتشه والصداقة  
• ويلو فيركرك



• أدوات التمويل الإسلامي...  
• تأليف جماعي



• كلمات تموج  
• سونيل بي إلييдам



• لون النقود...  
• مهرسا بارداران



• عصر الرقابة الرأسمالية  
• شوشانا زوبوف



• معنى الحياة  
• فوكه أوبهيا



• عصر التضليل..  
• تأليف جماعي



• الإله المعبود بحق في القرآن  
• جاك مايلز

## إصدارات عالمية جديدة





## نيتشه والصدقة ويلاو فيركرك

مُحمَّد الشيخ \*

يؤثر عن الحكيم اليوناني أرسطو أنه كان يقول: «أيها الأصدقاء، لا يوجد أصدقاء!»، ويؤثر عن الحكيم الألماني نيتشه أنه كان يرد عليه، بعد انصرام اثنين وعشرين قرناً ونيف، بالقول: «أيها الأعداء، لا يوجد أعداء»، وما جعل القول الأول من أرسطو منكراً للصدقة بإطلاق، لا ولا جعل القول الثاني من نيتشه منكراً للعداوة بإطلاق، بل جعل منهما مثبتين للصدقة والعداوة - الواقعتين - معا بنسبة منكرين لهما بنسبة. على أن لا هذا ولا ذاك شهد ما يشهد عليه زماننا هذا بدون نمط جديد من الصدقة هو «الصدقة الافتراضية» التي تعقد بضغط على زر «أقبل»، وتحل بضغط على زر «أرفض» في جهاز الحاسوب! والحال أن مفكري الصدقة، عبر تاريخ الفكر البشري، من الكثرة بمكان: من أرسطو إلى دريدا، مروراً بفيلوخرسيس وشيشرون وابن الخمار والتوحيدي ومونتيني وغيرهم عدد. لكن، ما أكثر المفكرين في الصدقة، وما أقل المتميزين فيهم!

إلى تجاوز نفسه. إذ ليس من الصدقة في شيء، مما أدى إلى منزلقين قد تنزلق إليهما صداقة فاشلة: قمع المرء في نفسه تطوره الذاتي، وكبحه في ذاته تطوره من حيث هو مفكر حر. إنما الصدقة الحقبة. الصدقة التنازعية. تلك التي نعثر على توصيف لها في أعمال نيتشه المتوسطة، حيث تقترن الصدقة بالبهجة. هي ذي الصدقة العلاجية الاستشفائية -التطبيبية/التطبيبية- التي تكسب المرء صحة نفسية. إذ من أهم مزايا الصدقة أنها تشفي، كما تجعل إحساس الإنسان الفكري قادراً على تحمل الصيرورة، وتنقل الإنسان من حال الإنسان الأخير. العدمي. إلى حال الإنسان الأعلى الذي تجاوز العدمية.

### الفصل الثالث:

في صيرورة المرء نفسه (صر ما أنت إياه): نيتشه ومفهومه العلاجي للذات

هذا الفصل دائر على مفهوم «الذات» عند نيتشه، وعلى ما يعنيه تحويل الذات. ولتشكل الذات عند نيتشه، أساساً، روافد ثلاثة: حياة بيولوجية، وتربية مجتمع، وإرادة قوة. فأنى لهذه العوامل المتناقضة المتداخلة أن تجعل الذات تعي صيرورتها؟ الذي عند نيتشه -وفي صلة بموضوع الصدقة- شأن «تصوير الذات» شأن تشاركي: لا تتغير الذات إلا في شركة بالغير. ذلك أن أحد غايات الصدقة، بمعناها الأسمى، ما يعين النفس على تجاوز نفسها. وترد المؤلفة على من يدعي أن نيتشه قد آمن بالتحتمية البيولوجية والاجتماعية والوجودية، بأن الإقرار بعوامل تشكيل الذات هذه لا يمنع أن تبقى هذه العوامل ذات هدف مفتوح، وهي تؤهل النفس إلى انبساط، بحيث تسهم القوى الخارجية والداخلية معا في وعي المرء بنفسه. مما يقدرنا على فهم كيف أن نيتشه اعتبر أن الصدقة يمكن أن تغير الذات، وبشيء يفهم للذات يتوافق مع تصور نيتشه العلاجي والاستشفائي للصدقة.

### الفصل الرابع

نيتشه وأرسطو: في الطبع والفضيلة وحدود الصدقة تقف المؤلفة في هذا الفصل على الجوامع والفوارق في تصور

2- من وجه فلسفي محض: أي توصيف وضعه نيتشه للصدقة؟ وأي نوع هو الأفضل عنده؟ وما مساهمة وقيمة آراء نيتشه بالقياس إلى أنظار أعياره من فلاسفة الصدقة ومفكرها؟

هذا وقد انقسم الكتاب إلى مدخل وستة فصول:

### الفصل الأول:

عطاء نيتشه الأدبي في الصدقة: قراءة نيتشه بحسبانه صديقا مرحا نزوعا سخيا

ترسم المؤلف هنا ما يشبه خريطة طريقة في غابة قراءات نيتشه، ماسكة بالخيط الناظم لقراءته باعتباره مفكراً استشفائياً أنشأ «أخلاقية صداقة» لكي يعلم إياها قراؤه المصطفين. وتقوم دعوى هذا الفصل على فكرة أن نيتشه مفكر نفساني استعمل منهجه الجنياولوجي بغاية بناء مروية عن الصدقة تحثي بوجهها: المنازعة والبهجة. وقد توجه نيتشه بخطابه إلى «فلاسفة المستقبل» الذين تحرروا من إرث الماضي، حتى أمكنهم مساءلة أنفسهم في كل مجالات حياتهم. وهنا تصير الصدقة منهجا نحو تجاوز الذات والعلو عليها. وقد ركزت المؤلفة هنا على نصوص الطورين المتوسط والمتأخر من أطوار فكر نيتشه. ترى ما الذي كانه نيتشه هنا؟ وأي نوع كان من الكتاب؟ والجواب الذي يأتي: هنا نيتشه هو الصوت التنازعي، الذي يناضل ضد القارئ، في مقاربة نفسانية للفلسفة. هو منشئ أخلاقية صداقة تنازعية، حيث يطفح ثمة فيض قوة وفضل طاقة يستخدم التناظر والجدل كي يدفع القارئ إلى تجاوز نفسه، ويخرجه من قوقعته، ويقذف به إلى بحر خضم. يخرج نحو الصدقة بحسبانه الفرحة والبهجة والسخاوة.

### الفصل الثاني:

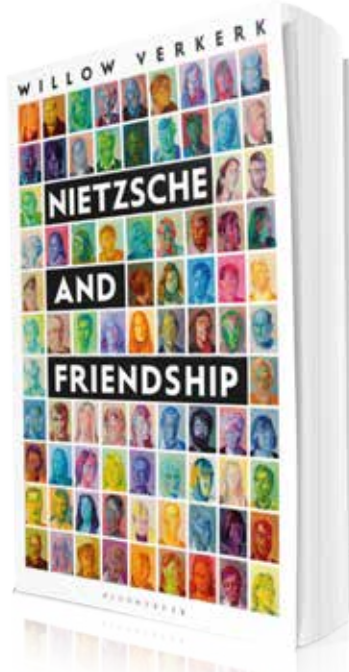
إعادة تقويم نيتشه للصدقة

مدار هذا الفصل على فحص السجايا التي يقر نيتشه بوجودها في فضيلة «الصدقة». ويركز على نصوص نيتشه المنذورة إلى غاية الصدقة. ويبرز كيف أن البغية من الصدقة إحياء الشعور الفكري بشغف البحث عن المعرفة ودعوة المرء

وصاحبة هذا الكتاب -الفيلسوف النسائية الكندية التي درست الفلسفة بأوروبا (لندن وباريس) وبالولايات المتحدة وكندا ويلاو فيركرك- تدعي أن نيتشه كان «متميزاً» في تفكيره في موضوع «الصدقة». وتنتقل في تفكيكها لهذا المفهوم عند نيتشه من حديث الرجل عن «الحاجة إلى الصديق» -تلك الحاجة التي يعبر عنها بالقول: نحن نحتاج إلى الصديق حتى نتحمل الحياة، ونخبر أفرحها بملئها، ونعلي من شأن قدرتنا على التعلم منها. بما يشي عن أن الصدقة «صناعة أدوية» علاجية: فمن شأنها أن توفر لنا الراحة من العذاب، وأن تدفعنا إلى أن نتجاوز أنفسنا، وأن تُقدرنا على أن نتحمل قدرتنا على الإبداع الفردية والجماعية. وهذا يعني أن نيتشه فكر في موضوع «الصدقة» في زمن اجتياح العدمية للعالم بأثر من حركة الحداثة العاتية، وما رافقها من ضهور الحس الديني، ومن فلسفة «هز الكتف» التي لسان حالها يقول: انهارت القيم. فليكن، المهم أن نبعد قيما جديدة نتجاوز بها مزاج عصرنا العدمي الخنوع الخمول.

والحق أنه عادة ما تم اعتبار فكر نيتشه، من جهة نظر شائعة، أنه فيلسوف فرداني، مؤثر للوحدة وللعزلة، بجانب للخلطة وللرفقة، وما تم النظر إلى فكره من جهة نظر «أخلاقيات الصدقة». وهي جهة النظر التي جعلت فيها ويلاو فيركرك وكدها، فسعت إلى أن تبدي وجه نيتشه الخفي هذا. ذلك أن الرجل، ولا سيما في مرحلة فكره الوسطي، كان شديد الاهتمام بصداقة مرحة، وبصحبته منازعة، وبرفقة سخاوة؛ بحيث يسخو الصديق على صديقه من فائض قوته وتدفق عطائه. وتلك علمناها أوجه الصدقة الثلاثة عند نيتشه: صداقة التفراح والتباهج، وصداقة التناقص والتزاحم، وصداقة التعاطي والتساخي. وقد انتدبت صاحبة الكتاب نفسها لفحص هذه الأنماط الثلاثة من الصدقة، وذلك من وجهين:

1- من وجه تطور فكر نيتشه تاريخياً: هل، يا ترى، تغيرت هذه أوجه الصدقة الثلاثة هذه عنده بتغيرت حسب أطوار تقلب فيها فكره (متقدم ومتوسط ومتأخر)، أم أنها بالصدد تداخلت وتمازجت؟



أثر فيه وفي محاولات دريدا التجديدية لوجه المرأة. وتختتم المؤلفة كتابها بذكر أن هدم نيتشه - وهو الذي نذر حياته لكي يُطَبَّ للحضارة ويشفي منها مرض العدمية، ويوقظ فيها العقل الحر والوعي الفكري والصدقة التنازعية كوسائل للاستشفاء والتغيير. لأسس عقائد الثنائيات الميتافيزيقية التقليدية القائمة على المعارضة بين القيم: الخير/الشر، الحق/الباطل، الرجل/المرأة... إنما شمل أيضا ثنائية الصديق/العدو. وقد ربط الرجل بين الصداقة والعداوة لا لكي ينكر إمكانية الصداقة، بقدر ما لكي يتحدى تماميتها المفهومية ويفتحها على تنوعاتها. إذ لا ننسى أن الرجل، على الرغم من ذكوريته الطافحة، ذكر أن الرجال هم المسؤولون على صورة المرأة، وأنهم هم من يتحفظ على صداقة المرأة، كما لا ننسى أن صداقة نيتشه تبقى أشبه شيء يكون بحديقة أبيقورية تأتيها كل العقول الحرة بصرف النظر عن النوع والعرق والطبقة، وإنما بتوافق قيم عقل حر وصداقة مرحة تقوم على اللعب والتعاقب والراحة باعتبارها أساس تجربة الصداقة. وتنوعات الصداقة هذه إنما ترتبط بمشروع نيتشه لتجاوز الذات نفسها. وقد كان أملة معقودا على قراء المستقبل الذين هم بمثابة أصدقاء له للاحقين وورثة فكره الذي سوف يمكن من إحداث تغيير ثقافي ومن بزوغ ضرب جديد من الصداقة عبر الازدهار المشترك.

وتختتم بالحديث عن محاولة نيتشه ترويج الصداقة بالعداوة وإعادة ابتداء الصداقة بوصفها ممارسة استشفائية تدعم تجاوز الذات بالشراكة مع الغير. والذي تراه المؤلفة، أننا ما زلنا نعيش لحد الآن عشية آخر إنسان كما تصوره نيتشه. لذلك؛ فإننا نحتاج إلى الصداقة التنازعية بوسمها علاجا من شأنه أن يخرج أرواحنا من خمولها.

وأخيرا، يتبين من عرض تاريخ مفهوم «الصداقة» في الفكر الغربي، وبشهادة دريدا نفسه، أنه كان مفهوما ذكوريا بالأولى. بدأ بأرسطو الذي عد صداقة المرء وزوجه أدنى الصداقات، وثُنَّ بمونتيني الذي تحدث عن عجز المرأة على أن تصادق، وثُلَّت بنيتشه الذي وصف الصداقة بصفات ذكورية: التنازع والتصالب. لكن أين نحن من قول أبي محمد التغمريني: «ولا ينبغي للمسلم أن يبقى بغير صديق يفشي إليه سره، ويشترك معه همومه. فإن لم يجده من الرجال، اتخذته من النساء، والعكس للنساء»؟ بل أين نحن من العلامة أبي حسان الفرسطاني الذي كان كثيرا ما يمكث عند أم الربيع الوريورية، وكانت سخية ومأوى للأخيار، وربما أقام زمانا من الدهر، ويجعل للناس المجلس عندها؟

• الكتاب: نيتشه والصداقة.

• المؤلف: ويلو فيركرك.

• الناشر: بلومسبوري، 2019.

• عدد الصفحات: 190 صفحة.

\* أكاديمي مغربي

ثمرة النوازع؛ مما يفسر الفارق بين عشق الذكر وعشق الأنثى. ويرى نيتشه أن هذه الفوارق لا زالت قائمة لا انفضاض لها. مما يكشف، في رأي المؤلفة، عن محدودية فكر نيتشه في استكشاف طرق البحث في الحب والصداقة والهوية والجنس. وقد استعانت مؤلفة الكتاب بليس إريغاري لتوضيح كيف أن أفكار نيتشه هذه -ويا للمفارقة!- أنعشت الفكر النسوي المعاصر، وحملته على طرح أسئلة من قبيل: كيف نفكر في الحب من وجهة النظر الأخرى -أي وجهة نظر نسوية؟ والجواب: ببيان أن من شأن المرء ألا يعرف غيره معرفة تامة. وتعتبر إريغاري، بحسبانها مفكرة نسوية، أن الصداقة تتطلب كف الذات عن الجموح إلى اجتياح الغير، لكنها تعبر عن كبح الذات هذا بوقف اصطلاحات جديدة: الاستمتاع والاعتراف بالحدود بيني وبين السوي، وتطوير التساؤل، والشغف بالفوارق مع الصديق. وذلك على الرغم من محدودية فكرها المتمثل في التركيز على الصداقة العابرة للنوع، غير متنبهة إلى صداقة النوع (صداقة امرأة بامرأة مثلا).

## الفصل السادس:

احتجاز المرأة: تلقي تنازعي لعطايا نيتشه ودريدا تواصل المؤلفة، في هذا الفصل، فحص التلقي النسوي لفكر نيتشه وأشكال تطور هذا التلقي في زمن ما بعد الحداثة والنزعة النسوية والدراسات العابرة للجنس. وتركز على الردود النسوية على كتاب دريدا الفاضل -مهملات: أساليب نيتشه- الذي أول فيه صورة المرأة تأويلا، بحيث جعلها كناية عن المرأة: ووجه الشبه بينهما التقلب. وقد وقفت الباحثة على محدودية كتابات نيتشه في المرأة، رغم وجاهة الكناية. وأظهرت كيف أن ثمة وجهين لنييتشه:

أ- وجه نيتشه العاشق الذكوري، ومحاولته تجاوز ذكوريته نحو تصور عشق أنثوي.

ب- وجه نيتشه صديق القارئ الدافع به الرد... وكلا الوجهين

الصداقة بين هذين المفكرين. والذي تنتهي إليه أن أحد مفاتيح الفوارق يكمن في تصور الرجلين المختلف لما الذي يعنيه انفتاح الشخص وإزهاره وتفتقه. وهي تحضر فيما خلف ما تسميه «تفاهماتهما السطحية»، المتمثلة في أن كليهما يرى أن حب النفس نافع للصداقة وليس مهددا لها، وفي أن نيتشه كان يقدر الحكمة الإغريقية أيما تقدير، وكان يعتد بفكرتها عن الصداقة التي تقتضي فكرة تفتق الشخص وإزهاره نحو غاية عليا، وذلك بما يحدث توافقا بين بعض ملامح تصورات كل من نيتشه وأرسطو للصداقة. على أنه خلف سطح التآلف ثمة عمق التخالف: ذلك أن نيتشه رأى أن الفضيلة جود يفيض عن إرادة القوة التي تحكم الإنسان. وبناء على هذا التصور للفائض -الجود- تصور هو «أخلاقيات الصداقة». ولئن كان الحكيمان قد اعتبرا أن سخاوة حب النفس تؤسس للصداقة، على عكس ما قد يعتقد، فإن الإنسان القوي الساخي، عند نيتشه، والرجل العظيم الطبع، عند أرسطو، كلاهما يجد صعوبة في إيجاد أصدقاء. لكن الباحثة ترصد بعض أنحاء التخالف في تصور الرجلين بين الفضيلة الفردية، عند أرسطو، والصداقة الجودية، عند نيتشه. إذ لئن أعلن أرسطو أن: «لا أحد يختار أن يحيا في استغناء عن كسب الأصدقاء، حتى وإن هو كسب كل الخيرات الأخرى»، ولئن شدد نيتشه على أهمية الصداقة في ازدهار الإنسان وصيرورته، فإنهما تخالفا في تصور البغية من ذلك. ذلك أن الرجل العظيم الطبع، عند أرسطو، يحتاج إلى من يصغي إليه ويحترمه، إذ هو مندور إلى نهاية مأساوية في سعيه، قبل كل شيء، إلى تحقيق ما يعتبره أعلى شأن في حياته؛ هذا بينما الصعوبة التي يواجهها ذو الجود غير هذه: يحتاج إلى الأصدقاء لكي يفيض عليهم من حكمته التي استملها من استقوائه، ومن دون هؤلاء تبقى حياته بلا جذوة وبلا جدوى. فهو يحتاج إلى كيف يبث عطايه إلى الأغيار، وأن يحيي فيهم جذوة المعرفة، مثلا، بينما عند أرسطو الحقيقة ترتبط بالمعرفة الكاملة، بالتحصيل، ولا تحتاج إلى توصيل.

## الفصل الخامس

النساء والحب واضطرابات النوع في الصداقة بين نيتشه وإريغاري

بعد أن عقدت الباحثة الفصل السابق للمقارنة بين أرسطو وأحد أبرز أسلافه -أرسطو- عادت إلى عقد المقارنة بينه وبين إحدى أهم أخلافه الفيلسوف والمحللة النفسية واللسانية والنسائية الفرنسية ليس إريغاري (1930-). هذا مع تقدم العلم أن زمننا هذا شهد العديد من المحاولات لتقويم «عوجاج تاريخ الفلسفة الذكوري» بإحداث قراءة جديدة «نسوية» لتاريخ الفلسفة. وما كانت هذه المحاولة ببدع من ذلك. إذ يفحص هذا الفصل كتابات نيتشه في الحب والنساء ودور الجنسين، ويستقصي علاقة كل ذلك بالصداقة عنده. يدعي نيتشه أن من الدواعي المتحكمة في الحب طغيانيته وتملكيته، وأن الحب نازع أناني يسعى إلى تملك الغير، بينما الصداقة تؤدي إلى «تسامي» هذا النازع نحو غاية مشتركة، وأن الثقافة هي ما يهدب نزوع الحب هذا فيتبدى للنظر نزوعا متساميا رائعا، كما يرى أن اختلاف النوعين -الذكر والأنثى- إنما هو



## ابن رشد ماتيو دي جيوفاني

### عزالدين عناية \*

تَفُوقُ العِنايةُ بدراسة الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية في الغرب دراسة الفلسفة العربية الحديثة بأسواط. فلا زال كبار الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة المسلمين مثارَ تَفَحُّصٍ وعَرَضٍ ومِراجَعَةٍ في ما تناولوه من قضايا، الأمر الذي يُوَافِقُهم منزلة عليّة ضمن أساطين الفكر العالمي. ابن رشد هو أحد هؤلاء الكبار، لما حازه فيلسوف قرطبة في تاريخ الفلسفة المدرسيّة من مكانة مقدّرة، بوصفه الشارح الأكبر لفلسفة أرسطو.

ابن رشد على ما يذهب إليه دي جيوفاني. في هذا القسم حاول المؤلف حشر ابن رشد في صُلب الجدل القائم في علم الأصول، في مسعى لإلحاق مقولات الثنائي-ابن رشد وابن تومرت- حول الألوهية بتيار الاعتزال. ولم يغفل المؤلف عن إيراد انتقادات ابن رشد للرؤى العقديّة التقليديّة السائدة في عصره.

في القسم الثالث المعنون بـ«مبحث النفس» حاول المؤلف ربطَ المقول الرشدي بمقولات فلاسفة الإغريق، مستعرضاً الفرق في الرؤية الإسلامية بين الروح والنفس. وفي هذا القسم حاول الكاتب تَفَحُّصَ مدى تأثر ابن رشد بالفارابي وابن سينا في المسألة، خصوصاً بشأن المقولات المترتبة عن ذلك في ما له صلة بالعقل الهولاني والعقل بالقوة والعقل الفعّال. لكن ما يُحاول ماتيو دي جيوفاني تأكيده وهو التأثير البين لابن رشد بالفيلسوف ابن باجة خصوصاً في المنزع الطبيعيّ لديه المستوحى من أرسطو.

في القسم الرابع والأخير المعنون بـ«مبحث العالم» نجد ابن رشد يتعاطى مع المسائل الكونية في مرحلة عمرية متأخرة، مقارنة بالمسائل الفلسفية والدينية التي تطرق إليها في مرحلة مبكرة. وعلى العموم يأتي تناول مواضيع الميتافيزيقيا والكونيات متأخراً نسبياً. والملاحظ أن المحاور الثلاثة (الله والنفس والعالم) التي خصّصها المؤلف لتناول فلسفة ابن رشد، جاءت معمّقة، أبرز من خلالها إمامه بالمدونة الرشديّة، وما دون عنه من قبل اللاحقين، سواء في الأوساط الغربيّة أو العربيّة. وفي هذا القسم ثمة إبرازٌ لمسعى ابن رشد الحثيث لجعل الميتافيزيقيا بمثابة العلم الخاص بالألوهية، كما يستعرض المؤلف موقفي الكندي والفارابي من المسألة، فإن تكن الميتافيزيقيا لدى الأول متماهية مع علم الكلام، فهي مع الثاني أنطولوجيا عامة. ليحاول دي جيوفاني تحديد مفهوم الميتافيزيقيا ودورها من منظور ابن رشد وتمييز طروحاته عن سائر الطروحات السابقة لا سيما مقولات ابن سينا في المسألة.

هذا القسم، إدراج ابن رشد ضمن قضايا عصره الفكرية والسياسية، غير أن انتماءه العميق إلى مشاغل العصر لا يعني انحصاره داخل محددات تاريخية، بل ذلك ما حوّل له التجذّر والتجاوز في الآن نفسه. وصحيح أن ابن رشد قد ارتبط بالمقولات الدينية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، ولكنه عمل في الآن نفسه على إلحاق تلك المقولات بقضايا كونية، من حيث عمومية النظر العقلي وشموله، فالنظر العقلي أو الحكمة، من منظور ابن رشد، هي دائمة الحضور من خلال التأمّل والتساؤل عن الوظيفة الاجتماعية والسياسية للفلسفة.

في القسم الثاني المعنون بـ«مبحث في الألوهية»، يحاول ماتيو دي جيوفاني أن يضع الرؤية الرشدية للألوهية ضمن إطار المشروع السياسي والفكري للدولة الموحدية وزعيمها المهدي بن تومرت. يتطرق إلى الصلة الوثيقة التي ربطت ابن رشد بالموحديين، معتمداً في ذلك على دراسات الباحث دومينيك أرفوي في الشأن. إذ بقدر ما كان ابن تومرت قائداً سياسياً كان بالمثل داعية دينياً، تبنى رؤية صارمة في التوحيد حتى لُقّب أتباعه بالموحديين. وقد كانت لابن رشد صلات مباشرة بالبلاط الموحدية في مراكز عشية تمدد نفوذه إلى الأندلس، وهو ما أسس رابطة وثيقة بين ابن رشد والدولة الموحدية. يُلحّ المؤلف على إبراز الصلة الرابطة بين ابن رشد وابن تومرت، إلى حد يجعل منه صوتاً مبشراً بالمهدوية التومرتية في كافة بلاد المغرب، والواقع أن الأمر يقتضي إعادة موضحة ابن رشد ضمن رهانات التعويل على إصلاح علاقة النقل بالعقل، وهو المشروع الجوهرية الذي شغله سواء في نصوصه الفلسفية أو الفقهية.

ونظراً للصلة العقديّة المتينة بين ابن رشد وابن تومرت، حاول ماتيو دي جيوفاني التمعّن في الرؤى العقديّة، والخيارات الفقهية المشتركة بين الرجلين. فالصياغة العقديّة لابن تومرت وجدت ترجمة فلسفية في مقولات

فالأثر الكبير لابن رشد في مسار الفكرين الغربي والإسلامي، هو ما دعا المؤلف الإيطالي ماتيو دي جيوفاني، الأستاذ في جامعة لودفيغ ماكسيميليانس الألمانية بمونكو، والمتخصّص في الفلسفة الإسلامية وفي الفلسفة الرشدية تحديداً، ليُخصّص مؤلفاً لفيلسوف قرطبة. انشغل فيه بالفلسفة الرشدية وأعمال الرجل وعصره، وهو ما يُفصح عن إمام عميق بالمقولات الفلسفية الإسلامية. هذا وقد صدر الكتاب ضمن سلسلة «مفكرون» لدار نشر «كاروتشي» الإيطالية، التي تنشر أعمالاً حول مفكرين وفلاسفة قدماء ومحدثين.

والمؤلف بقدر ما حاول عرض رؤى ابن رشد وأعماله وإنجازاته وشروحاته، وسعى للخروج به من دور الشارح لفلسفة أرسطو، كما ساد النظر إليه، تساءل بالمثل عن مدى راهنية هذا الفيلسوف، وهل بالإمكان استعادته من خلال الزخم الذي ميّز حياته بالانغماس في القضايا الفكرية والسياسية والدينية لعصره؟ فني تَفَحُّصَ دواعي حصر النظرة الغربية فيلسوف قرطبة في دور الشارح لفلسفة أرسطو، رغم المكانة الرفيعة له، يتساءل ماتيو دي جيوفاني في ثنايا كتابه على الأمر عائد إلى أسباب دينية؟ إذ غالباً ما جرى اختزال ابن رشد ضمن تاريخ الفلسفة الغربية في دور الشارح، ولكن الإحاطة الشاملة -كما يقول المؤلف- بأثار الفيلسوف تبين خلاف ذلك. فهناك حضور بارز لابن رشد في جدل العقل والنقل، وهو ما ورد ملخصاً في كتابه: «فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من اتصال».

قسّم الكاتب ماتيو دي جيوفاني مؤلفه إلى أربعة أقسام رئيسية، جاءت معنونة على النحو الآتي: «الإنسان والعمل»، «مبحث في الألوهية»، «مبحث في الروح»، «مبحث العالم». في القسم الأول «الإنسان والعمل» يستعيد حضور ابن رشد في مسار الدرس الفلسفي الغربي المصنّف ضمن الفلاسفة المدرسيين. ولذلك يحاول المؤلف، من خلال



متعدّد الأوجه، ليمثّل شرح فلسفة أرسطو جانبا من تلك الجوانب. نشير كذلك إلى أنّ الكتاب قد تضمّن جملة من الفهارس العلمية، توزّعت بين فهرسة نقدية خاصة بالمصادر، وكرولوجيا لحياة ابن رشد وأعماله، وفهرس للأعلام. وهي تقريبا الفهارس المطلوبة في هذه الصنف من المؤلفات الفكرية. والملاحظ أنّ فهرس المراجع قد جاءت فيه نسبة معتبرة من المؤلفات العربية التي استعان بها في تأليف الكتاب، بلغت ٤٠ مرجعا عربيا من جملة ٢٧٦، توزعت بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية. جدير أن نثمن الجانب المتفرد لدى الباحث في الاطلاع على الكتابات العربية، فغالبا ما يكون المستوى المتقدّم للإلمام بالعربية لدى الأكاديميين الغربيين في أوساط المعنّين بالأدب، ويتراجع بين غيرهم من دارسي الفلسفة أو التاريخ أو الآثار وما شابه ذلك.

الكتاب مفيد وعميق من حيث معالجة القضايا المتعلقة بفلسفة ابن رشد، علاوة على أنه موثّق توثيقا جيدا. ونقدّر أنه سيبقى من المراجع المعتمّدة في إيطاليا حول ابن رشد. فقد صدرت قبله مؤلفات أخرى عن ابن رشد، ولا نقدر أنها ارتقت إلى المستوى الذي تناول به دي جيوفاني شخص ابن رشد، أو إلى عمق اللغة الفلسفية التي دونّ به المؤلف كتابه. لغة الكتاب لغة فلسفية راقية والمؤلف على دراية جيدة بالمقولات الفلسفية في اللغتين، الإيطالية والعربية. فقد ساهم إلمامه بالعربية واطلاعه على المؤلفات العربية إسهاما بيّنا في توضيح الأفكار الواردة في الكتاب والموجهة للقارئ الإيطالي.

نتساءل إلى أي مدى استطاع ماتيو دي جيوفاني جعل ابن رشد مفكرا معاصرا، وهو ما أشار إليه في مطلع كتابه؟ لا نقدر أن المؤلف وفق كل التوفيق في ذلك، إذ نلاحظ تخطي العديد من المسائل الجوهرية، مثل الجدال القائم اليوم بين علاقة النقل بالعقل، أو بلغتنا الراهنة بين الخطاب الديني والخطاب العقلاني، وهو ما وددنا الاستفاضة فيه ضمن محاور الكتاب.

• الكتاب: ابن رشد.

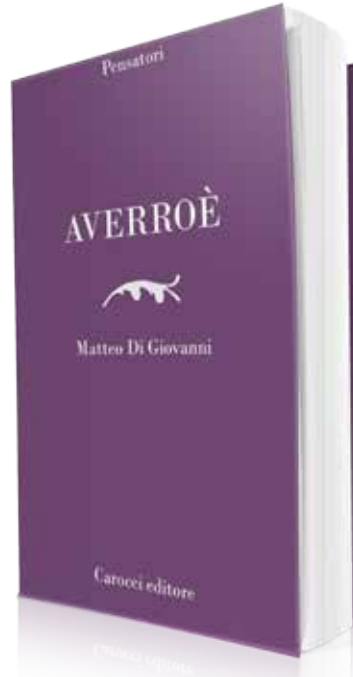
• تأليف: ماتيو دي جيوفاني.

• الناشر: منشورات كاروتشي (روما-باري)  
'باللغة الإيطالية'.

• سنة النشر: 2019.

• عدد الصفحات: 284 صفحة.

\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



متابعة شذرات من سيرته الذاتية، أنه درّس العربية لغير الناطقين بها في الولايات المتحدة، لكن ليس معروفا في إيطاليا من بين أساتذة العربية أو الباحثين فيها. ولعلّ الشيء المهمّ الذي يورده مؤلّف الكتاب في عمله متمثّل في وجهات النظر المتعارضة تارة والمتوافقة أخرى، لدى مؤلّفين غربيين وعرب بشأن بعض المسائل لدى ابن رشد. فالكتاب يضعنا على خطّ التواصل والإلمام بتطور البحث الفلسفي بشأن شخصية ابن رشد وفلسفته في المجالين الغربي والعربي. كُنّا نتمنّى أن يُضرد المؤلف للمسائل الفقهية والمسائل السياسية ولعلاقة الحكمة بالشريعة مجالا أوسع في الكتاب، غير أنّ ذلك أتى خاطفا وعابرا. لكن لا بدّ أن نشير إلى أنّ الكتاب، بشأن العناصر التي سلط فيها الضوء، قد تميّز بمنهجية علمية في الصياغة والتناول، وكشف عن دراية معمّمة لدى صاحبه بالقضايا الرشدية.

من جانب آخر لا نعثر في الكتاب على انتقادات أو مراجعات لمن كتبوا عن ابن رشد، أكانوا غربيين أم عربا، وإنما نجد حديثا منحصرًا في العناصر الثلاثة التي حددها في مستهلّ كتابه. لكن ما يبدو من خلال مؤلّف «ابن رشد» أنّ الباحث متخلّص من نغمة المركزية الغربية، بل لعلّ نصه محاولة جادة لتتّزلزل ابن رشد في إطار الحاضنة الثقافية العربية عامة دون حصره في مهمة الشرح لفلسفة أرسطو. من هذا الجانب يمكن النظر إلى مؤلّف ماتيو دي جيوفاني أنه يستفيد من الرؤية الشمولية لابن رشد.

ما نلاحظه في الكتاب أيضا أنه محاولة لتجاوز حصر ابن رشد في دور الشارح لأرسطو إلى دور الفيلسوف

في كتابه يحاول ماتيو دي جيوفاني أن يُبرز ما أضافه ابن رشد للإنسان اليوم، بعد أكثر من ثمانية قرون على رحيله، بشأن مسائل وجودية أساسية (الله والنفس والعالم). خصوصا وأنّ مكانة ابن رشد رفيعة في تاريخ الفلسفة الغربية المدرسية، لاسيما في ما تعلق منها بأرسطو، وهو ما خوّل لدانتي أليغييري أن يضعه في عداد النفوس العظيمة كما ورد في الأنشودة الرابعة (١٤٣). لكن اشتغال ماتيو دي جيوفاني في نصّه على محاور ثلاثة: النفس والألوهية والعالم، نراه لا يتسع ليشمل المسائل المتشعبة التي شغلت ابن رشد، ولا سيما علاقة الدين بالعقل، ومسائل تجديد أصول الفقه، وهي قضايا لطالما شغلت المفكرين في عصره. صحيح ثمة إعادة تحليل وتركيب للمقولات الرشدية ضمن العناصر الثلاثة المشار إليها، وهي تُخبر عن سعة اطلاع وإلمام لدى المؤلف الشاب بالمقولات الرشدية، ولكن لا نلمس إضافة نوعية سوى ذلك المسعى للبحث على دفع الدارس لابن رشد وفلسفته لإدراج الرجل ضمن إطار أشمل من وضع الشارح لأرسطو. كُنّا نتمنّى التطرّق إلى المقولات الدينية وتفهمها من منظور عقلي، وإلى إسهامات ابن رشد في الخروج من التضارب التقليدي بين الحكمة والشريعة، إلى علاقة وفاقية تكاملية على غرار ما سعى له في «فصل المقال»، غير أنّ ذلك ورد مقتضبا.

لا شك أنّ الدراسات حول ابن رشد متنوّعة وبلغات شتى، فالرجل من أكثر شخصيات الفلسفة الإسلامية حظوة سواء في التناول الغربي أو العربي. ومن الأعمال العربية التي صدرت عن ابن رشد في السنوات الأخيرة نذكر «النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد» لعاطف العراقي (دار المعارف، ١٩٨٤)؛ «المتن الرشدي» لجمال الدين العلوي (توبقال، ١٩٨٦)؛ «ابن رشد الحفيد.. سيرة وثائقية» لمحمد بن شريفة (١٩٩٩)؛ «ابن رشد... سيرة وفكر» لمحمد عابد الجابري (مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩). أما في إيطاليا على سبيل المثال، فقد صدر خلال السنوات الأخيرة مؤلّف لكريستينا داكونا بشأن «ابن رشد وتاريخ الفلسفة الإسلامية الوسيطة» (منشورات إيناودي، ٢٠٠٥)، كما صدر مؤلّف بعنوان «ابن رشد» لماسيمو كمبانييني (منشورات إيلمولينو، ٢٠٠٧).

ما يُستشف من هذا العمل أنّ ماتيو دي جيوفاني يقف على أرضية راسخة في التكوين العلمي، خصوصا اطلاعه المباشر على النصوص العربية المؤلّفة في الغرض، وهي ميزة باتت نادرة في الاستشراق الراهن. كما أنّ ثمة توظيفاً محكّمًا للمصطلح الرشدي الوارد في مؤلّفاته العربية ينم عن قدرة ودراية بالعربية. سيما وأنّ الكاتب كما تيسّر من



## البحث عن الفينيقيين جوزفين كراولي كوين

سعيد بوكرامي \*

تقدم جوزفين كرولي كوين المؤرخة وعالمة الآثار، والأستاذة المرموقة بجامعة أكسفورد، تحقيقاً مذهلاً عن الفينيقيين، قد يبدو الأمر للوهلة الأولى مجرد استعادة لتاريخ معروف وإمالة لثام عن مرحلة تاريخية يعرفها القاصي والداني، لكن بعد التغلغل في أطروحاتها، نكتشف أن لا أحد يعرف الفينيقيين حق المعرفة.

المصادر غامضة فيما يتعلق بتعيين الحدود الجغرافية «الفينيقية» أو الهوية «الفينيقية». لتبرير الحاجة إلى التحقيق، فككت ودحضت جوزفين كراولي كوين المعرفة الأكاديمية، بدءاً بمفهوم «الفينيقية». كانت أهدافها ذات شقين لأنها أولاً مسألة تحديد من المصادر ما يمكن أن نعرفه عن التنظيم الاجتماعي والسياسي والديني لما يسمى بالسكان «الفينيقيين»، وثانياً تسليط الضوء على الدوافع الموجودة وراء المفهوم الحديث لـ «الشعب الفينيقية» (ص ١١). وحسب المؤلفة، فإن الخطأ المنهجي للمؤرخين وعلماء الآثار يتمثل في إعطاء صبغة عرقية إلى أشخاص «متناقضين» أو حتى «غير مباينين» بهذا الجانب (ص ٧): «لا نعرف كيف كانوا ينظرون إلى أنفسهم، وبأي عدد من الطرق المختلفة، أو حتى وإن كانوا يولون أقل أهمية لهذا السؤال» (ص ٢٦٣). في العصور القديمة للبحر الأبيض المتوسط، بالنسبة للمصريين، فإن الحثيين أو العبرانيين، مثل «الفينيقيين»، تشير المصادر إلى أن التنظيمات الإقليمية والاجتماعية والسياسية كانت «منفتحة» نسبياً (ص ٢). على عكس ما يدفعنا المنطق الحديث إلى الاعتقاد اليوم، كانت هويات البحر المتوسط مرنة ومنفتحة ومعقدة. لذلك تشكك كراولي كوين في الفرضيات التي قدمت كحقائق. للقيام بذلك، تعتمد على مصادر نصية مثل أرشيف مؤسسة قاديش أو قرطاج، وكذلك على بعض الأدوات اليدوية الفاخرة أو النقود أو الأسلحة ... على سبيل المثال، تعيد النظر وتدحض فكرة أن صور وصيدا شكلتا مملكة واحدة بين القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد. كما تتحدى الروابط المفترضة بين بعض المعالم الأثرية الثقافية التي تعتبر «فينيقية»: مثل الأوعية المعدنية الشهيرة (المزينة بمناظر أسطورية أو بمشاهد الصيد) أو تلك المصنوعة من العاج أو الخزف ذات أشكال تسمى «فينيقية» في حين أنها تنتمي إلى منطقة الشام عموماً. وبطريقة مفصلة، فإنها تحلل بعض الممارسات المقدسة عند الفينيقيين مثل مزهريات القرابين.

والمجموعة العرقية، ولا الشعب «الفينيقية». وللبرهنة على ذلك، تقوم بمراجعة المصادر المتوفرة. من هم إذن هؤلاء الفينيقيون؟ هل هم شعب من العصور القديمة استعار منهم الإغريق حروفهم الأبجدية؟ أم تجار وملاحون استثنائيون من بلاد الشام (صور، صيدا، لبنان في الوقت الحاضر) قاموا بتأسيس قرطاج، وإمبراطوريتها التي ستهيمن على المدن اليونانية في صقلية أو سردينيا، حتى تدميرها من قبل روما؟ هل هم الشعب الذي كان يمارس ديناً قاسياً، يقدم الأطفال قرابين للآلهة؟ ولماذا، يقدم هذا الشعب، مقارنة باليونانيين والرومان، بشكل محتشم في دروس التاريخ؟ تتبع المؤلفة كل ما هو معروف عنهم ويشير إلى «الهوية» الفينيقية، ذلك الشعب الأصيل، مستكشفة بالتناوب اللغة والدين والمستعمرات والتأثير الإقليمي لقرطاج مستندة في تحقيقها على فن الخط، وعلم العملات، والعمارة، وآخر الاكتشافات الأثرية. وكلما اعتقدنا أننا نفهم هذه الهوية، فإنها تنفلت منا، لذلك لم نعد على يقين من أن قرطاج كانت مستعمرة لمدينة صور أو صيدا...

هل شكل الفينيقيون شعباً حقيقياً؟ هل عرفوا على هذا النحو من قبل معاصريهم؟ ما هو مؤكد، أنهم كانوا موضوعاً للعديد من عمليات الاستغلال (والتخيلات): من قبل الإغريق، والرومان، وبعد ذلك بقرون قليلة، من قبل الأيرلنديين ثم الإنجليز، وأخيراً الفرنسيين! كما يوحي العنوان، فإن العمل عبارة عن تحقيق دقيق حول اختراع الفينيقيين كـ «أمة قديمة»، والذي يهدف إلى إثبات أنها لم تكن موجودة كـ «شعب» أو «مجموعة» واعية بنفسها. في الواقع، لقد وصف الفينيقيون منذ زمن طويل بأنهم «شعب» و «حضارة». نحيل هنا على وثائق وصور معارض (الفينيقية) في بالازو في مدينة البندقية (١٩٨٨) و البحر الأبيض المتوسط عند الفينيقيين في معهد العالم العربي في باريس (٢٠٠٧). على العكس من ذلك، توضح لنا المؤلفة أن

إن كتاب «البحث عن الفينيقيين» مجلد سميك وكثيف، مثير ورائع، كأنه مغامرة لمطاردة أشباح الفينيقيين الذين توجد حالياً آثارهم بمتاحفهم الدائمة في لبنان وتونس، لكنها تنقل في بعض الأحيان إلى متاحف عالمية، أو إلى بلدان «البحر الأبيض المتوسط». لكن من هم الفينيقيون؟ حسب هومروس، هم تجار وبحارة استقروا في مكان ما بين قبرص ومصر. وحسب هيرودوت، من ساحل سوريا، يقاثلون في البحر لحساب الفرس، ولكنهم يتعايشون مع الإغريق في صقلية. مدنهم تسمى صور، وصيدا، وبيبلوس، وأرادوس في بلاد الشام؛ ومعطية في صقلية، وتاسوس في سردينيا، وقرطاج في أفريقية، وغاديس في إسبانيا هذه هي مستعمراتهم في المتوسط. بالنسبة لليونانيين، فهم مرشدون (للملاحة) ومهملون (في عبادة ديونيسوس)، وشبه أسلاف أسطوريين، وشركاء، ولكن أيضاً برابرة وخصوم. بالنسبة للرومان، هم أعداء جنوبيون غادرون، يقودهم حنبعل، سيهزؤون عرش روما في عام ٢١٦ قبل الميلاد. قبل أن تهزمهم وتمسحهم سياسياً عن الخريطة.

سيمكننا الكتاب من التعرف على مراحل اكتشاف الفينيقيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ثم سنكتشف ونفك نقوشهم في القرن التاسع عشر، وبالتالي لغتهم، التي تعتبر لغة سامية. في عام ١٨٦٠، قام إرنست رينان بالتنقيب في لبنان وأعلن أن الفينيقيين كانوا أمة وشعباً، وهو شيء غير مألوف بعض الشيء بسبب توقف مؤسساتهم وانتقائية فنونهم. وفي القرن العشرين أعيد الاعتبار لهم من خلال إنشاء لبنان على الحدود «الفينيقية». وبذلك زعم علماء الآثار أن الحضارة الفينيقية، بين ١٢٠٠ و ٣٣٢ قبل الميلاد قد انتشرت في غرب البحر المتوسط، حيث الشام. هذه هي بالضبط الصورة التي راهنت جوزفين كرولي كوين على إعادة تركيبها حجراً حجراً، لأنها تعلن أن الامبراطورية لا وجود لها، وكذلك الأمة، والدولة،



العملة الفينيقية في قرطاج في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد. (ص 133).

يصبح مصطلح «الفينيقي» في هذا السياق سلاحاً سياسياً وثقافياً لكنه لا يكشف عن «هوية إثنية» (ص 265). وبعد قرون من الزمان، تستخدم الدولة اللبنانية الجديدة في عام (1943) أيديولوجية «الفنقيين الجدد» التي تعيد تأكيد أصولها بهذه الطريقة لأنها تناسب «النضال العام، الذي يقوده الموارد إلى حد كبير، من أجل تأسيس دولة لبنانية منفصلة عن سوريا والعالم العربي بأسره» (ص 28). تسلط المؤلفة الضوء على كيفية استغلال الهوية الفينيقية من أجل غرض سياسي خلال مجيء الدول القومية في لبنان وتونس في القرن العشرين. هذه الحقائق ليست معزولة أو جديدة، فهي تظهر بطريقة أصلية أنه في بروتاني وإيرلندا، خدم المذهب الفينيقي الجديد في السابق قومية العلماء والنخب. بمعنى آخر، «القومية هي التي خلقت الفينقيين» (ص 268).

أخيراً، تعترف المؤلفة بالفجوات المتعلقة بقبرص وغرب البحر الأبيض المتوسط، لكن القيد الرئيسي في بحثها يعود إلى عدم وجود أدب باللغة الفينيقية، لا يوجد شيء يقول بوضوح أن الفينقيين لم يعتبروا أنفسهم شعباً. تتمسك جوزفين كرولي كوين بأفكار يمكن الطعن فيها. ومع ذلك، سيكون من المفهوم أن هدفها ليس فرض رأيها ولكن تحفيز النقاش وقبل كل شيء تشجيع الباحثين على متابعة تحقيقات جديدة دون الوقوع في المزالق التي رغبت في بحثها الممتد على طول أربعمئة صفحة أن تسلط الضوء عليها.

هذا الكتاب هو نتيجة لثلاث محاضرات أقيمت في جامعة (تافتس)، لكن المؤلفة طورتها واستكملتها في كتابها الجديد، الذي لا يعد بحثاً أكاديمياً معزولاً، لأن عملها جزء لا يتجزأ من الديناميكية نفسها التي يعمل بها الأكاديميون المتخصصون في تاريخ البحر الأبيض المتوسط مثل باولو زيبلا أو كورين بونيت أو كلود بوراين، هذا على سبيل المثال لا الحصر.

• الكتاب: البحث عن الفينقيين

• المؤلفة: جوزفين كرولي كوين

• الناشر: منشورات لاديكوفيرت فرنسا.

• تاريخ النشر: 2019 / الفرنسية

• عدد الصفحات: 400 صفحة

\* كاتب مغربي



الآخرين (ص 96). من بين الأمثلة التي تعتمد عليها، تقوم بتحليل بعض النقوش (ص 65) التي لا تقدم التعرف المباشر على الذات. توضح الدراسة وجود إشارات إلى الأسلاف (غالباً عدة أجيال)، أو عائلة / أو مدينة، في حين يشير الإغريق إلى سلف واحد، ويربطون جنسيتهم بهوية إقليمية أوسع. يبدو أن «الفينقيين» أكثر ارتباطاً بمرجعية الأجداد مقارنة بالهوية الجماعية. ينسب اليونانيون «الفينقيين» إلى مدنهم، كما هو الحال في الألعاب الديلوسية أو النيمانية أو البرزخية (ص 70) بينما يرتبط الفائزون الآخرون بمجموعة أكبر. الإغريق (مع أنهم مخترعو التسمية الفينيقية) إلا أنهم يعتبرونهم «هوية متباينة واعية بنفسها» (ص 264).

تكشف هذه الدراسة المكثفة جداً أنه من الصعب إيجاد قاسم مشترك آخر غير اللغة الفينيقية (التي لها بلا شك لسانها الخاص). وهكذا، فإن الثقافة المعمارية لأرادوس أو بيبيلوس أو صيدا تكشف عن «انتقائية عالمية» (ص 112) تجسد هذا التنوع. على سبيل المثال، يجمع الفن والعمارة في صيدا بين الزخارف الفارسية والمصرية والقبرصية وحتى اليونانية. بل إن الممارسات الجنائزية المتنوعة مثل: القبور، الكهوف، والنوم تحت الأرض، وطقوس الحرق (ص 112). ونذكر أيضاً قرابين الأطفال في قرطاج وفي بعض المستعمرات، كجزء من عبادة الإله بلع هامون، والتي لا يعترف بها ويشاركها الجميع في أرجاء الامبراطورية. أخيراً، بصرف النظر عن الحرب والتجارة، وهما قوتان موحدتان تقليدياً (ص 123)، فإن الدليل الوحيد على ظهور هوية فينيقية هي صورة شجرة النخيل (الفينيق) التي سكت على

أخيراً، تتساءل عن ديناميات الهجرة، وهي الدراسة التي مكنتها من تسليط الضوء على حركة المجموعات الناطقة باللغة الفينيقية في شرق ووسط وغرب البحر الأبيض المتوسط، حيث الشبكات تنمو والمجموعات تتطور وتحافظ على علاقات «متنوعة» و «متعددة الاتجاهات». في القسم الأول، تواجه المؤلفة التاريخ القديم للفينقيين في مصادره القديمة من خلال ثلاثة فصول. في الفصل الأول، «تضع من أولوياتها دراسة الصورة الحديثة للشعب الفينيقي في السياسة والخطاب في العصر الحديث» (ص 16) من خلال مراقبة الهوية الفينيقية التي تستغلها الحركات السياسية الحديثة. في الفصل الثاني، تستغرب المؤلفة أن من بين عشرة آلاف نقش نذري أو جنازي المتاحة لنا باللغة الفينيقية، قليل منها يشير إلى أنها «مجموعة عرقية». أما، في الفصل الثالث، فتبحث المؤلفة عن سبب نعت الإغريق والرومان «الفينقيين» بمصطلحات تشير إلى أنهم مجموعة بشرية غامضة.

ثم، في القسم الثاني، تتساءل جوزفين كراولي كوين عن تفاعلات ما يسمى بالسكان الفينقيين على ضوء الأشياء والممارسات. على سبيل المثال، من خلال استخدام عملة قرطاج (نهاية القرن الخامس قبل الميلاد)، توضح كيف أن مفهوم «الفينيقي» (الذي يأتي من الإغريق) يخدم الطموحات الإمبراطورية لقرطاج التي تسعى إلى «جمع رعاياها حول فكرة أكبر من المدينة / الإمبراطورية نفسها» (ص 131). تسمح دراسة عبادة «بلع هامون» و «تينيت» بفهم تطور المجموعات الفرعية للمستعمرات من خلال الدائرة المغلقة ل«توفاة قرطاج» أو «توفاة سلامبو». تتناقض هذه الشبكة الفرعية المحدودة مع الشبكة الواسعة التي تتطور حول عبادة «ملقرت» (بمعنى ملك المدينة، إله صور) بواسطة هذا الأخير، أنشئت روابط متعددة بين مواقع اللغة الفينيقية في جميع أنحاء البحر المتوسط (ص 135). ثم تشرح جوزفين كراولي كوين أخيراً، كيف حوت تجربة الهجرة السكان الناطقين بالفينيقية وممارساتهم.

يركز القسم الثالث من الكتاب على الاهتمام الجديد بهذا الماضي في العالم الهلنستي والروماني وعلى مستوى الارتباط الثقالي (وليس العرقي) بالفينقيين. توضح كيف يعمل هذا التعريف على تعزيز الهويات الوطنية، التي نجدها في العصر الحديث. وراء السؤال عن «الفينقيين»، تطرح كراولي كوين سؤالاً أوسع: «ما هو الشعب؟». تسعى إلى إبراز ما كان يجمع بين السكان الناطقين باللغة الفينيقية وما الذي يميزهم عن



## لون النقود: البنوك السوداء وفجوة الثروة العرقية مهرسا بارداران

محمد السالمي \*

نعيش في عالم غير متكافئ للغاية.. كثير من الناس على دراية بالإحصاءات الشائعة حول عدم المساواة في الدخل. وفي سياق الولايات المتحدة، ١٪ يملكون حوالي ٤٠٪ من إجمالي الثروة. وفقا لمجلة الإيكونوميست، فعلى الرغم من مرور أكثر من ١٥٠ عاما منذ توقيع إعلان تحرير العبيد في العام ١٨٦٣، لا تزال فجوة الثروة بين المجتمع الأبيض والأسود تتزحزح ببطأ شديد.

المجتمع الأسود في استخدام المؤسسة «كحصالة»؛ حيث سعت إدارتها إلى غرس قيم التوفير والرأسمالية. ومع ذلك، فقد فشل البنك بسبب عدم وجود شرط مسبق بالغ الأهمية للبنوك الناجحة وهي الحاجة إلى كميات كبيرة من رأس المال في المقام الأول لزيادة نمو الأموال. ومع امتلاك السود أقل من واحد في المائة فقط من ثروة البلاد عندما تم توقيع إعلان التحرير، كانت المهمة لا يمكن التغلب عليها. وتُشير الكاتبة إلى أن أحد الأسباب وراء الحركة المصرفية السوداء، هو أنه يمكنها السيطرة على الدولار الأسود «أموال السود» وتنميته، لكي يكون له دور في سد فجوة الثروة العرقية. إن أبرز سمة للرأسمالية هي قدرة رأس المال على التكاثر من خلال الائتمان وبهذا كان يتعين على البنوك السوداء أن تنمي رأس المال بمعدل أسرع من البنوك البيضاء. علاوة على ذلك، تجاهل دعاة البنوك السوداء العديد من التحديات التي واجهتها تاريخياً، فمن ناحية، لم يكن لدى المجتمع الأسود سوى القليل من الثروة الأولية لدعم البنوك؛ حيث تعزز نضالهم من قبل المؤسسات القانونية التي تحرم باستمرار الأسر السوداء من القدرة على توليد الثروة. وبالنظر إلى النظام المصرفي الوليد، فإنه مبني على الودائع السوداء والتي تتكون أساساً من الأجور، مع العلم أنها كانت ضرورية للعيش يومياً. ومن هنا، أدى ذلك إلى درجة عالية من التقلب، وبالتالي إلى ارتفاع تكاليف التشغيل بشكل ملحوظ مقارنة بالبنوك البيضاء. في النهاية، انهار البنك بعد تكبده خسائر فادحة حيث أصبحت البنوك السوداء الوسيلة التي يتم بها تدفق الأموال من المجتمع الأسود إلى الاقتصاد

السياسات المصرفية الأوسع على السود في الشمال الحضري. بعد ذلك، تتعامل بارداران مع تأثير السياسات الاقتصادية الرئيسية من الكساد العظيم إلى حركة الحقوق المدنية. ومن ثم تنتقل الكاتبة في الفصل الأخير إلى العصر الحديث. وتوضح بارداران كيف أن تاريخ المال والأعمال المصرفية في الولايات المتحدة يتسم بالعنصرية. توثق المؤلفة العبودية في الولايات المتحدة؛ حيث تمت طباعة صور العبيد حرفياً على النقود في الجنوب، وكان العبيد بمثابة ضمانة، إلى السود المحررين الذين يمتلكون ويديرون رأس المال. عندما انتهت عبودية شاتيل «العبودية التقليدية» في الولايات المتحدة، وعدت أوامر شيرمان والمعروفة بـ «الأوامر الميدانية الخاصة ١٥»، بتوطين العبيد الأفارقة على طول الساحل في ساوث كارولينا وجورجيا وفلوريدا، ولكنها لا تصنف على أنها ملكية دائمة للأرض. وبدلاً من الوصول إلى الثروة، تم تزويدهم بالبنك؛ حيث تعود أصول المصرفية السوداء إلى البنوك العسكرية الصغيرة التي تشكلت خلال الحرب الأهلية في الستينيات من القرن التاسع عشر وذلك للاحتفاظ برواتب الجنود السود. ومن الأمثلة المهمة بشكل خاص في هذا الصدد: بنك فريدمان، الذي كان ينظر إليه من قبل الجمهور على أنه جدير بالثقة لأنه كان مدعوماً من حكومة أبراهام لنكولن، والذي يهدف بشكل خاص لخدمة مجتمع السود. من حيث المبدأ، سيساعد البنك السود المحررين على توفير الأراضي وشرائها في نهاية المطاف. كان يدار فعلاً كبنك استثماري خاص يعمل فيه موظفو الإدارة بنشاط في المضاربة. ومما يَسر في هذه الإستراتيجية هو رغبة

وفي كتاب «لون النقود»، تقوم مهرسا بارداران بتحليل العلاقة بين السياسة العامة والواقع الاقتصادي الأسود؛ حيث تجادل بأن عدم المساواة في الثروة في الولايات المتحدة قد نشأ واستمر لعقود من الزمن من خلال التشريعات المصرفية التي تميز السود منذ تحررهم من العبودية. كما تؤكد البيانات أن كلا من رأس المال، والتجارة، والممتلكات كانت من نصيب البيض. علاوة على ذلك، فإن الكاتبة تحلل دور البنوك السوداء في تضيق الفجوة الاقتصادية القائمة منذ زمن طويل. تاريخياً، تم الإشادة بالبنوك السوداء لإمكاناتها في القضاء على فجوة الثروة العرقية من خلال توفير الفرص الاقتصادية للسود. ومع ذلك، لم تقترب البنوك السوداء من إنهاء الممارسات التي تركت السود في حالة من النقص الاقتصادي. إن الحصيلة من العمليات المصرفية السوداء هي أن المؤسسات ذاتها اللازمة لمساعدة المجتمعات على الهروب من الفقر المدقع الناجم عن التمييز والعزل أصبحت ضحية لهذا الفقر نفسه. مهرسا بارداران هي أستاذة متخصصة في القانون المصري بجامعة كاليفورنيا، وقد قدمت المشورة لعدد من السياسيين في مجال الخدمات المصرفية البريادية، بما في ذلك السناتور كيرستن جيلبراند والسناتور إليزابيث وارين. ودائماً ما تحظى مؤلفاتها بتغطية إعلامية ودولية. وينقسم الكتاب إلى ثمانية فصول تغطي الفترة من عام ١٨٦٥ إلى الوقت الحاضر مع ملاحظات تاريخية ومعاصرة. ويبدأ بالتاريخ المبكر للبنك الأسود في أعقاب الحرب الأهلية. ومن ثم ينتقل الكتاب بشكل ملحوظ إلى مناقشة أكثر تركيزاً حول تأثير





مستقرة.. ويشير مكتب تعداد الولايات المتحدة، إلى أنه قبل الركود في ٢٠٠٨ كان متوسط دخل الأسرة السوداء - متوسطة الدخل - يعادل ٦٤٪ فقط من دخل الأسرة البيضاء. كما تشير البيانات إلى أن الأمريكيين من أصل إفريقي أكثر العاطلين عن العمل مقارنة بالأعراق الأخرى. في السنوات التي سبقت الكساد العظيم في عام ٢٠٠٨ على سبيل المثال، كان معدل البطالة بين السود حوالي ١٠٪، أي أكثر من ضعف ما كان عليه بالنسبة للبيض.

وفي الختام، تشرح براداران أن الهدف من الكتاب ليس توفير حلول لل فجوة في الثروة العرقية، وإنما لتوثيق كيف أن الجهود السابقة قد اختفت، حتى تفاقت المشكلة. وبدون حلول سياسية جريئة، لن تسد الجهود المبذولة فجوة الثروة العرقية. في المقابل، يروج كثير من المصرفيين وأصحاب السياسة المركزية للحلول المالية وغيرها من التعديلات حول الهوامش، ولكنها تتجاهل الحقائق، ولن توفر سبلا ملموسة لسد فجوة الثروة العرقية.

هذا الكتاب هو سرد تاريخي حول عدم المساواة في الثروة في سياق التمييز العنصري، لكنه يحتوي أيضًا على مواد غنية حول مواضيع أخرى، تتمثل حول الاقتصاد السياسي للمؤسسات المالية، ودور سياسة الملكيات في تكرار عدم المساواة. يستحق كتاب «لون النقود» أن يكون في مكتبة أي شخص يتعامل أو يفكر بجديّة في قضية التمييز العنصري.

ويعطي الكتاب آفاقًا بحثية، عبر توسيع دائرة المناقشة في تفاوت عدم المساواة لتشمل دولاً أخرى، خاصة تلك التي تتميز بالتنوع العرقي، لتعطي إضافة مهمة في علم الاقتصاد. وإضافة إلى ذلك، لاقى الكتاب إشادة من النقاد والقراء ونال استحسانهم.

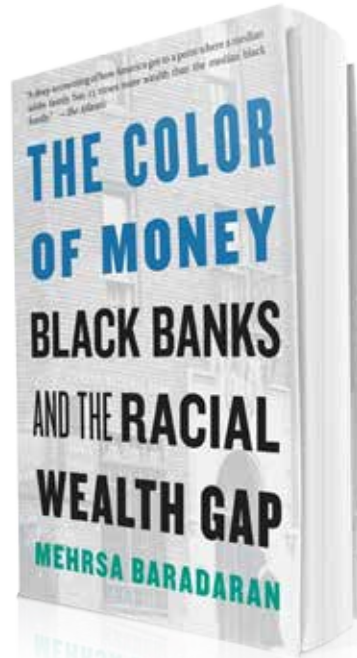
• الكتاب: لون النقود: البنوك السوداء وفجوة الثروة العرقية.

• المؤلف: مهرسا بارداران.

• الناشر: Harvard University Press, 2019، بالإنجليزية.

• - عدد الصفحات: 348 صفحة.

\* كاتب عُمانى



رفض أي جهود حكومية للتكامل. وهكذا أصبحت الخدمات المصرفية السوداء سمة مهمة للأسماوية وبهذا تم تقديمها كبرنامج للحكومة لتلبية مطالب الجالية السوداء.

وتنتقل براداران إلى العصر الحديث في فصلها الأخير. وتشير هنا إلى أن فجوة الثروة بين السود والبيض موجودة في كل من مستويي الدخل والتعليم؛ حيث تجادل حول الفكرة الخاطئة بأن فجوة الثروة العرقية هي نتيجة ثانوية للسلوك الأسود وذلك عبر تقديم بيانات ودلائل إحصائية، مثل حقيقة أن الأسر السوداء تدخر فعلياً جزءاً أكبر من دخلها مقارنة بالبيض. إضافة إلى ذلك، تقوم بتوثيق استمرار الملعب غير المتكافئ من خلال كل من السياسة العامة والإجراءات الخاصة للبنوك. وتشدد الكاتبة على أن عدم المساواة في الماضي يديم عدم المساواة في الحاضر، خاصة عندما يتعلق الأمر بالثروة. من هنا فإن الكاتبة تؤكد، أن أغلب الثروة ليس مكتسباً بل موروث.

كانت الأزمة المالية في ٢٠٠٨-٢٠٠٩ الأسوأ منذ الكساد العظيم، وكانت صعبة على جميع الأمريكيين. ولكن يمكن القول إن الأمريكيين من أصل إفريقي هم بالفعل الشريحة الأكثر هشاشة من الناحيتين الاقتصادية والمالية.

وحتى اليوم، وبعد عقد من الأزمة المالية، ما زال السود يتعافون تماماً ولا يزالون في حالة مالية غير

الأبيض. تم استخدام جزء كبير من الأموال في الاستثمار في الضواحي البيضاء، مما قوض فكرة أن هذه المؤسسات ستستثمر في المجتمع الأسود وسد فجوة الثروة العرقية. بالنسبة للكثيرين في المجتمع السود، فإن انهيار هذه المؤسسة أدى إلى انعدام ثقة عميق في مؤسسات الدولة وكذلك البنوك بشكل عام؛ فإن انتشار المصارف السوداء ليس فقط لأن العديد من الزعماء السود يعملون فيها، ولكن أيضاً إضفاء الشرعية على قوانين مثل جيم كرو «التمييز العنصري» قضوا فعلياً على المجتمع الأسود من الحياة العامة في أمريكا.

وفي هذا الإطار المعزول عرقياً، لم يكن من المستحيل أن تكون الخدمات المصرفية السوداء منفصلة ومتساوية، بل لا يمكن أن تكون منفصلة ومربحة كما تشير المؤلفة.

وفي العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، توسع نطاق المصارف السوداء بشكل كبير لعدة أسباب؛ أبرزها عدم تمكن المجتمع الأسود من الحصول على ائتمان أو تأمين من بنك أبيض أو شراء منزل من سمسار عقارات أبيض، كانت تكلفة تجميع رأس المال دائماً أعلى. ونتيجة لذلك كان على هذه المصارف السوداء البحث عن عملاء سود، في حين أن الشركات البيضاء يمكنها بيع سلعتها لأي شخص مما أدى إلى تنافس الشركات السوداء مع بعضها البعض وكذلك مع الشركات البيضاء. على سبيل المثال، لم تقرض البنوك البيضاء عموماً السود، وحتى عندما يفعلون، كان سعر الفائدة أعلى بكثير من المعتاد. وبالتالي، أصبحت محافظ البنوك السوداء محفوفة بالقرروض السكنية الخطيرة. إضافة إلى ظاهرة عنصرية تتمثل في الجهود الصاخبة التي يبذلها البيض لإبعاد السود عن أحيائهم. كل ذلك أدى إلى فجوة في الثروة بين السود والبيض.

وعلى الرغم من أن النجاحات التي حققتها حركة الحقوق المدنية والتي اكتسبت قوة هائلة في الستينيات من القرن الماضي تعني أن المجتمع الأسود مُنح المساواة في شكل حقوق قانونية وسياسية، فإن الإنجاز لا يزال بعيد المنال. عندما تولى الرئيس نيكسون في العام ١٩٦٩، واجهت حركة سوداء راديكالية رد فعل أبيض قوياً، تضمنت استجابة نيكسون المحنكة سياسياً في معارضة جميع أشكال التمييز العرقي القانوني مع



## كلمات تموج لـ سونيل بي إلابيدام

### فيلابوراتو عبد الكبير \*

هذه دراسة يحاول من خلالها الكاتب في التيار اليساري في كيرالا أن يثبت صلاحية النظرية الماركسية ونفوذها الفعال في جميع مناحي الحياة الإنسانية وقدرة تفاعلها مع النظريات الأخرى. يشرح كيف أن هذه النظرية حتى بعد مضي قرنين من ولادتها تتفاعل مع النظريات الجديدة والحركات الاجتماعية المختلفة فكرة وتطبيقاً. يُقسّم الكتاب إلى قسمين. وفي الفصل الأول من القسم الأول يأخذنا الكاتب إلى العالم الفكري لـ كارل ماركس والميزات الباصمة لنظرياته. بعد موضوع مؤلفات ماركس تأتي العناوين التالية: كارل ماركس وأمبيدكار: الحوارات وتبادل الأفكار، الطبقات والصراع الطبقي: أبعاد تاريخها التطبيقية، سيرة الرأسمال التاريخية، اللغة وأبعادها الاجتماعية التاريخية، إعادة أفكار عن الجماهير. والقسم الثاني مذكرات عن حياة شخصيات أنجبوا في مجال الفكر الماركسي والثورة الشيوعية أمثال كيه.

طبقات العمال الكادحة. إن مواقف الماركسية الغربية هذه في نظره بالرغم عن تقديره نحو مساهماتها في مجال الفكر لا يستطيع تقييمها إلا على أشكال محاولات جرت في الأزمنة اللاحقة لتغيير مسار الماركسية إطلاقاً عن توجهاتها السياسية والاقتصادية التي تحتوي أفكار كارل ماركس. وفي الوقت ذاته يعترف بأنه لا يعتقد أن أشكال الماركسية المعاصرة جميعها نتيجة محاولات يقوم بها مفكرو ما بعد الماركسية لرفض الماركسية بتاتا بجعلها نظرية بحتة. ويقول وهو ينقل الفكر اليساري اليوغوسلافي سيبك إن أي محاولة عقلانية ملتزمة بالنظرية الماركسية يجب أن تكون مبنية على ثلاثة أصول من مصالح أساسية. أولها النقد ضد الرأسمالية واستيلائها على مناحي الحياة المختلفة، وثانيها الصراع الطبقي، وثالثها نضالات الشعوب المختلفة وتنظيمهم السياسي لتحقيق مصالحهم في حياتهم اليومية. يرى أن البحوث العقلانية التي تتصف بالتظاهر العلمي والتي تبتعد عن النضالات الجماهيرية بالنظر إليها بازدياد لا تُنصف الماركسية. ويشير إلى أن أفكار ما بعد الماركسية لا تُشارك بجدية هذه المصالح المذكورة وخاصة الموضوعين الأولين. لا يُصِر المؤلف على أن تكون جميع البحوث عن الماركسية هكذا. يعترف بأن جميع الأفكار غير الماركسية وحتى الأفكار التي تُعادي الماركسية أيضاً جزء من تراث أفكار النسل الإنساني. ولكنه يعتقد أن الإصرار بأنها هي التصور الماركسي الإبداعي المعاصر لا تُنصف الماركسية ولو كان ذلك باسم التطبيق العملي الانتقادي (Praxi) للماركسية. ولذلك قام بإعداد هذه الدراسة راسخاً قدميه داخل تاريخ الأفكار الماركسية وتطبيقاتها العملية السياسية الطويلة ومتبعها لها؛ فنرى فيها منقولات كثيرة من المفكرين الماركسيين القدامى. ويعترف بأن الفكر في هذه المجموعة ليس أفكاراً أصلية، ويُرحَّب بالنقد الذي

حدوداً في مقارنة الحداثة باعتبارها غير رأسمالية وبتجربتها من ظروفها العالمية الواقعية. وهذا هو المنهج الذي يتبعه في جميع المقالات في هذه المجموعة ظاهرة وباطنة. وتوجد فيها مقالات طويلة تتجاوز سبعة وثمانين صفحة كما توجد مقالات تقتصر في أربع وخمس صفحات، كانت مكتوبة في عدة مجلات صادرة في كيرالا في مناسبات مختلفة ولكن المؤلف لم يهتم بتحريرها وغربلتها جيداً حين جمعها في شكل كتابي، ولذلك نرى في بعض المقالات تكراراً يُملِّ القارئ. يحاول الكاتب تحليل المواضيع المذكورة في ضوء تاريخ الفكر الماركسي الطويل وتطبيقاته السياسية. الفصل الأول يدور حول حياة كارل ماركس مفكراً ومؤلفاً بعنوان «كلمات تموج»، إنما يعني المؤلف بالكلمات هي كلمات ماركس ذاتها، ويعتقد أن كلمات ماركس لا تزال ترن في أذان الزمان دون أن تفوت قيمتها أبداً. لا يقلقه انهيار قلعة النظرية الماركسية على النطاق العالمي في القرن الماضي ولا خمول الحزب الشيوعي في الهند. ويؤكد أنه ليس مقبولاً لديه مزاعم بعض المحللين الذين يرون من الواجب أن يُفَرَّق الفكر الماركسي عن علاقته الماضية مثل نظريته المادية الجدلية وتصوره الخاص بحركات العمال العالمية لتمير الروح الانتقادية على الماركسية، وكذلك وهو غير مستعد أن يأخذ بجدية الفكرة التي تعتبر الماركسية حلقة من حلقات تاريخ الفكر الغربي الذي انتهى دوره حيث يجب إيجاد عناصر وأدوات من أفكار جديدة تُطبَّق في الوقت الحاضر. ويقول إن هذا النضال «المقدس» لتحرير الماركسية عن الحركات الماركسية وتطبيقاتها السياسية، كما أشار إليه بييري أنديرسان (Perry Anderson) في كتابه Considerations (of Western Marxism) ليس إلا محاولة لربط الماركسية بحضيرة البرجوازية التي لا تساعد على توثيق الأواصر بين النظرية الماركسية ونضال

دامودران أحد رواد الفكر الماركسي في كيرالا، وتشي جيفارا النجمة الحمراء في ثورة كيوبا، وجون برجر أحد أبرز النقاد الفنيين وكاتب السيناريو، وتيري ايجيلتون أحد المفكرين الشيوعيين المعاصرين وهنتري ليفييفر (Lefebvre) الفيلسوف الماركسي والعالم الاجتماعي الفرنسي الذي توفي عام 1991. والكتاب عموماً يُعد من الدراسات الجادة عن اتجاهات الفكر الماركسي المعاصرة، يتناول المواضيع بأسلوب تحليلي متميز ولكن من منظور مُنظَّر واثق النفس في صلاحية النظرية الماركسية في كل مكان وزمان وبالتالي يُعَدُّ أماله على مستقبلها في الهند. وهذا كتاب ثاني للمؤلف حول التيار الفكري الماركسي. وفي عام 2014 قد نُشر له كتاب تحت عنوان «استدراكات الفكر الماركسي وانتقادات الحداثة» حيث تُعرِّض للانتقادات البعض كما نال إطرادات البعض. حاول فيه الكاتب رئيسياً أن يعالج موضوع الحداثة نتيجة من نتائج النظام الرأسمالي لكي يقدم الماركسية أداة مفيدة لانتقادها. انتقد هذا النهج بعض الماركسيين بوصفهم إياه محاولة باطلة لربط ما بعد الحداثة بالماركسية بين ما انتقده أصحاب ما بعد الحداثة بأنه محاولة مأكرة لإقحام الماركسية إلى أفكار ما بعد الحداثة. وكان هناك أيضاً من رفضوا الكتاب إطلاقاً مشيرين إلى أن تصور ما بعد الحداثة الرأسمالية ذاته ناتج من الجهالة عن الحقائق الأساسية. ولكن الكاتب مستندا إلى قول المفكر الماركسي المصري سمير أمين يتشبهت بأن تصور «الحداثة الرأسمالية» الأساسي ليس مما يجب أن يُرفض بتاتا، لأن الحداثة إنما استتوت نشأة وتطوراً بارتباطها العميق بالنظام الرأسمالي المعولم. فعلياً أن نعتبر أشكال الحداثة والديموقراطية والليبرالية القائمة مرتبطة بتطور النظام الرأسمالي بتزامنها بتاريخ الرأسمالية وعلاقتها الخاصة بالنظام الإنتاجي الجديد. ويقول المؤلف إنه يعتقد أن هناك



هذا الخسوف؟ إنه من الحقيقة المُسلِّمة أن الحزب كان منذ بدايته ملتبسا في تقييم طبقة الطبقة الحاكمة والطبقة البرجوازية في الهند. وفي حفلة انعقدت في شهر نوفمبر الماضي في كيرالا بمناسبة مئوية تشكيل الحزب الشيوعي الهندي اعترف سيتا رام بيتشوري سكريتير عام الحزب الشيوعي الماركسي بأن السبب وراء فشل حزبه في توصيل البلاد إلى النظام الاشتراكي هي الأخطاء التي حدثت من جانب الحزب في تطبيق أصول النظرية الماركسية اللينينية. يقول إن الحزب أخطأ في تقييم الظروف الواقعة فلم يستطع اتخاذ تكتيكات واستراتيجيات وفقا لتحويلات تلك الظروف. ولذلك لم يتمكن الحزب من تحقيق إنجازات حققتها الأحزاب الشيوعية في فيتنام وكوريا حسب قوله.

يقول آدم سميت إن دولة الرفاه إنما تأتي في حيز الوجود حين يُترك الشخص لبذل جهوده في جمع الأموال بغير قيود وشروط (Laissez fair) بينما يشير ماركس إلى أن العالم غير المستغل إنما هو مجتمع المواطنين الدولي الذي يتشكل عند غياب الدولة ذاتها بعد انهيار الملكية الخاصة. ويجدر الذكر هنا أن هذا الجدل بين الرأسمالية والماركسية لا نجد في أي مكان فيه ذكر النظام الأخلاقي الذي يجب الإنسان الإلتزام به في جمع الموارد المادية ولا في معاملاته المالية. إن الموقف الأساسي الذي تُشارك فيه تلك النظريتان إنما هو الرؤية العلمانية التي ترى أن موارد الطبيعة كلها للإنسان يمكنه استخدامها كما يشاء وكيفما يشاء. ثم إن قول النظرية الماركسية بأن تحول الناس فريضا مستغلين وفريضا آخر مستغلين كان رد فعل الملكية الخاصة الطبيعي ليس حقيقة تم تثبيتها تاريخيا. ويعترف الماركسيون ذاتهم اليوم بأن عالم كارل ماركس الذي يرفض الملكية الخاصة ليس إلا مجرد عالم طوبائي. إن الوجه الاستغلالي الخاص بالرأسمالية مرعب جدا لا شك فيه. ويؤكد هذا بحثنا عن نظام اقتصادي جديد يحدد واجبات وحقوق الشخص والمجتمع على السواء.

• الكتاب: كلمات تموج،

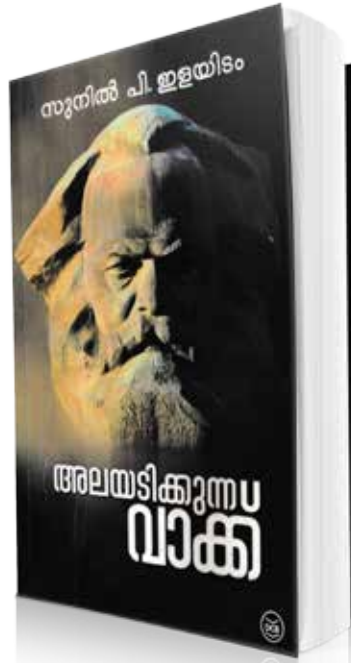
• المؤلف: سونيل بي إلابيدام

• اللغة: مالايالام، عدد الصفحات: 318، الناشر:

DC Book

• كوتايام، كيرالا، الهند

\* مستعرب هندي



الهندي أمبيدكار وقائد الحزب الاشتراكي في الهند رام مانوهار لوهيا قد فكرا أنه يمكن بناء المجتمع في الهند على أصول العدل والمساواة عن طريق النضال ضد نظام الطبقات الاجتماعية الموجودة كما انتهجت الماركسية طريقا مختلفا عن طريق الثورة المسلحة التي جرت في روسيا حيث تماهت مع التحرير اللاهوتي في أمريكا اللاتينية ومع وطنية نظام القبائل في القارة الأفريقية. ولكن كما اعترف سي. أتشوتا مينون الراحل أحد قيادي الحزب الشيوعي في كيرالا أن الشيوعيين في الهند الذين اتبعوا أصول الماركسية لم يعر أي اهتمام بهذه الحقيقة. ولقد تساءل لوهيا المفكر الاشتراكي الهندي في نظرية كارل ماركس حول تطور الرأسمالية. أشار لوهيا إلى أن نمو الرأسمال لم يكن مبنيا على استغلال الطبقة البروليتارية وحده بل كان أيضا على استغلال القوى الرأسمالية الموارد في البلدان الآسيوية والأفريقية. اعتقد لوهيا أن بالإمكان بناء مدنية جديدة من خلال ثورة السود على البيض بدون انتظار اكتمال نمو الرأسمال. وهذه الرؤية التي قدمها لوهيا كانت رؤية بديلة من رؤية التحرير الماركسي المتمركزة الأوروبية.

كان الحزب الشيوعي الهندي أكبر حزب سياسي معارض بعدد أعضائه في البرلمان الهندي بعيد استقلال البلاد. كانت له قواعد جماهيرية في البنغال الغربي وتريبورا وولايات أندھرا وبيهار وتاميل نادو. كان في سنوات عديدة الحزب الحاكم في البنغال وتريبورا باستمرار كما حكم ولاية كيرالا غير مرة، وأما الآن قد خسر البنغال وتريبورا وتقلصت قوته بحيث انحصر بسط حكومته في كيرالا فقط. فما هي الأسباب وراء

قد يُطرح على محتويات هذا الكتاب بأنها مجموعة أفكار منقولة كما ورد على بعض كتبه السابقة. فالكتاب محاولة للتعبير عن مفهومات من تلقاء نفسه معتمدا إلى حد كبير على العلوم الماركسية والنصوص الماركسية المكتوبة في السابق منقولا منها كثيرا ومضيفا إليها جديدا من الأفكار ومتفاعلا معها إيجابيا. فإذا يمكن أن يُقال إن الكتاب عموما حلقة إضافية إلى تاريخ العلوم الماركسية.

وفي الحقيقة إن أفكار ماركس يوجد فيها ما يؤخذ وما يرفض حسب المتحولات من الظروف. فمثلا المنظر الماركسي السابق في فرنسا رجاء غارودي رغم اعتناقه الاسلام في أواخر حياته كان يتمسك بالتفسير المادي للتاريخ لكارل ماركس بينما يرفض رؤاه حول الديانات السماوية. هناك دارسون مثل المفكر الإيراني الراحل علي شريعتي الذي قام بتحليل أفكار كارل ماركس بدون انحياز، وكتابه «الماركسية والمغالطات الأخرى الغربية» خير نموذج لذلك، نجده فيه يعترف بإنجازات حققها ماركس في مجال الفكر واصلاح المجتمع بينما يشير إلى عيوب نظريته الأساسية. كان شريعتي أيضا من ألد أعداء الرأسمالية حيث يقول إنها مقبلة يجب إزالتها، لأنها ضد الإنسان وتُدمر جوهره وتجعل من القيم كلها أرباحا وتبدل الفطرة إلى مال كما تبدل الإنسان الذي يجب أن يكون خليفة الله في الأرض إلى ذئب مفترس أو ثعلب ماکر أو جرد يعبد بريق المال، وتجعل الأكثرية قطيع غنم يرعى ممرغا وجهه في التراب وهو ينظر من يقص له صوفه ويحلب لبنه ويسلخ جلده وبالتالي يبيع عمله الذي هو أحد تجليات روح الإله في الإنسان ليقبض من ورائه الأجر المادي، وبالتالي يتبدل هدف فلسفة الحياة المبنية على الوعي والكمال من عبادة الله إلى عبادة الاستهلاك التي هي فلسفة حياة الخنزير. يعتقد شريعتي أن الاشتراكية تحرر الإنسان من مستنقع البرجوازية وتستأصل الروح النفعية والمادية وتخلق مجتمعا حرا. ولكن إن توضع في إطار الماركسية فإنها تعجز عن القيام بكل هذه المهام، لأن ماركس يعد الاقتصاد أصلا علميا كليا للإنسان، ويقول شريعتي لهذا السبب نفسه نرفض الرأسمالية ونمقت الإنسان البرجوازي. الماركسية تُعد الإنسان والإيمان والفكر والقيم الأخلاقية كلها من نتاج الاقتصاد.

يوجد في الماركسيين المعاصرين من يفكر أن النظرية الماركسية يجب تفسيرها من جديد حسب الظروف والزمن كما يجب تطبيقها عمليا (Praxi) بناء على ما يتم من هذا التجديد. وعلى هذه الخلفية كتب رايونند فيليام أن هناك اشتراكات مختلفة كما الشعوب المختلفة. قائد المنبوذين وباني الدستور



## أدوات التمويل الإسلامي في دعم النظام الإيطالي فديريكا ميليتتا و بيترتو باولو رامبينو

فاتنة نوفل \*

شهد التمويل الإسلامي لحظات عظيمة بسبب وفرة رأس المال المتاح في هذا السوق؛ ليصبح التمويل الإسلامي موضوع اهتمام على نحو متزايد في عالم سوق رأس المال الغربي بسبب وجود مؤسسات الائتمان التي تطبق قوانين الشريعة الإسلامية في هذا السوق من ناحية، ولوجود المستثمرين من القطاعين العام والخاص الذين يعتزمون الاستثمار في الأوراق المالية التي تحترم الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى ما يمنح بعض الدول العربية زخماً أكبر لهذا النوع من الاستثمار وقد استفادت من ذلك بلدان عربية كثيرة. فبدءاً من الأزمة الناجمة عن إفلاس بنك ليمان براذرز منذ ما يقارب الـ 10 سنوات وبالنظر إلى كل مرحلة من مراحل السوق التي تتسم بالتقلب وعدم اليقين وبعد اختفاء الأساسيات التي تقوم عليها استراتيجيات الاستثمار التقليدية، تساءل المحللون والمديرون عن كيفية البحث عن العائد والتنوع في الأسواق وإيجاد منتجات «بديلة» بطرق مختلفة.

للأصول مع احترام للمحظورات التي يجب مراعاتها وهي: عدم اليقين المفرط في الاستثمارات الرأسمالية؛ وعدم الاستثمار في القطاعات غير الأخلاقية مثل الكحول؛ وفرض حظر على الألعاب والرهان (القمار). من هنا يجب ملاحظة خصوصيات النظم القانونية العربية وتطور البنوك الإسلامية التي هي مؤسسات ائتمانية لديها قواعدها الأساسية الخاصة، وتسعى لتحقيق أغراض جني الأرباح بالقيام بأنشطة مالية دون تطبيق فوائد على القروض، وتعمل على أساس مبدأ تقاسم المخاطر للمعاملات المالية لعملائها بما يسمى مشاركة الأرباح والخسائر وأشكال التمويل غير التشاركي أو ما يسمى بالتجارة أو التشاركية بشكل غير مباشر. كل من هذه التقنيات مقبولة وتؤدي إلى إصدار صكوك قانونية معينة.

إن العقود التي تعتبرها العقيدة الإسلامية تتماشى بشكل صارم مع إملاءات الشريعة الإسلامية هي عقود المشاركة بشكل مباشر في المضاربة والتشارك. في عقد المضاربة، يقوم المقرض (صاحب المال: البنك أو العميل) بإقراض المال للطرف الطالب (المضارب: صاحب المشروع أو بنك آخر في حالة التمويل غير المباشر) والذي يتعهد بإدارة المبلغ المستلم من أجل تحقيق ربح يتم توزيعه بين الأطراف على أساس النسبة المئوية المحددة حسب العقد كحصة من إجمالي الأرباح (ليس ك مبلغ محدد سلفاً كما هو الحال مع الفائدة).

يمكن أيضاً استخدام نظام التشارك للتمويل غير المباشر: يمكن لأولئك الذين حصلوا على رأس المال كوكيل أو وسيط أن يقوم بدوره في إبرام عقد المضاربة مع طرف ثالث باستخدام المبالغ المستلمة للأنشطة الإنتاجية (المضاربة المزدوجة) وفقاً للقانون الإيطالي

في العهد الاستعماري وتتميز بمستويات مختلفة من التكامل بين الأشكال القانونية الإسلامية (الشريعة) وحق الدولة المنبثقة (القانون) والتي هي مستوحاة في الغالب من النماذج القانونية الأوروبية. لذلك، تدرس بعض الدول الغربية معالجة بعض القضايا للتعامل مع الصعوبات التنظيمية والمالية الناتجة عن إدخال أدوات قانونية محددة في نظام سوق رأس المال. على سبيل المثال في فرنسا في 4 آب 2010، أصدرت وزارة الاقتصاد والمالية تعليمات مخصصة مؤهلة بموجب الملف القانوني والضريبي لأربعة صكوك (المرابحة، والتوارق، والصكوك، والاستصناع، والإجارة) فيما يتعلق بالمستثمرين. وفي المملكة المتحدة كانت هناك لوائح وتوضيحات تتعلق بالتمويل الإسلامي؛ وهناك أيضاً عقود مرابحة تؤخذ كمرجع في سوق لندن.

في إيطاليا، بدأت المؤسسات في معالجة المشكلة بقصد اقتراح تغييرات على التشريعات المصرفية لأن التمويل الإسلامي يطرح معضلات في تأهيل العقود والأوراق المالية من ناحية القانون المدني والضرائب؛ حيث تحظر الشريعة أي نشاط مالي يؤدي إلى الفائدة (الربا)؛ وهذا يعني أن المسلمين (المستثمرين) الذين يعتزمون التكيف مع الشريعة لا يمكنهم تلقي أو دفع الفائدة لكن هذا لا يعني عدم السعي إلى جني الأرباح عند توظيف رأس المال؛ لكنه يجب أن يأتي من خلال مخاطرة ليست مالية بحتة ولكن مرتبطة بمشروع اقتصادي بينما في النظام الرأسمالي الغربي يمثل الممولون ورجال الأعمال فئتين مختلفتين، وتوجد في إيطاليا قوانين بنكية تحظر الخلط بينهما وهذا لا يحدث في التمويل الإسلامي لاعتبار قيمة المال فقط للتبادل. وبالتالي، فإن التمويل الإسلامي في جوهره هو إعادة تمويل

هذا الكتاب يركز على التمويل الإسلامي، أو بالأحرى على مجموعة المنتجات والخدمات الحلال التي تعترف بها الشريعة مثل الصكوك التقليدية، والمرابحة، والتوريق والإجارة وغيرها، وطرق تطبيقها في البلدان الغربية. من الممكن تحديد أربعة نماذج تنظيمية للبلدان التي يوجد فيها نظامان قانونيان مختلفان (القانون المصري التقليدي والذي غالباً ما يكون مشتقاً من الأنجلوساكسون والقانون المصري الإسلامي) كالحال في الأردن، والإمارات العربية المتحدة واليمن. البلدان التي تخضع فيها المصارف الإسلامية لقواعد خاصة مكرسة لها، بموجب قانون مصري واحد مثل اندونيسيا، والكويت، وماليزيا، وقطر، وتركيا. الدول التي تطبق على البنوك الإسلامية نفس القواعد المطبقة على البنوك التقليدية، على سبيل المثال المملكة العربية السعودية ومصر وفي الغرب المملكة المتحدة. وأخيراً، هناك دول مثل إيران والسودان مقتصرة على المناطق الشمالية تخضع فيها أنظمتها المالية بالكامل للشريعة. لقد تم إنشاء أول بنك إسلامي عام 1961 (بنك ميت غمر) في مصر، متخصص في تمويل القطاع الزراعي والحرفي. كما أجريت تجارب مماثلة في الجزائر وماليزيا. أول بنك إسلامي خاص تأسس في دبي (الإمارات العربية المتحدة) في عام 1975. ثم صناديق الثروة السيادية في البلدان الإسلامية التي تطبق أو تحاول ألا تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

وهنا يجدر القول إنه حتى في الدول العربية، كان التمويل الإسلامي يعيش منذ فترة مع أشكال وأدوات مالية خاصة بالعالم الغربي وأن النظم القانونية الإسلامية المعاصرة هي نتيجة تطور عملية التدوين والتشريع التي حدثت منذ منتصف القرن التاسع عشر



يكون فقط استثناءً للقاعدة، وذلك بسبب عدم اليقين في الحدود التي تفصل التقنيات القائمة على الفائدة عن التقنيات القائمة على التجارة، وكلاهما يعتمد على العائد المحدد سلفاً. ومع ذلك، تشير العديد من الدراسات إلى أنه على عكس توجهات مدارس الشريعة الإسلامية الرئيسية، فإن التقنيات الغير قائمة على المشاركة في الأرباح والخسائر تستوعب غالبية حصة ميزانية المؤسسات المالية الإسلامية وتمثل القروض القائمة على المشاركة في الأرباح والخسائر في المتوسط حصة تتراوح بين ٢٠ و ٣٠٪ من الأصول المصرفية.

يمكن عزو انخفاض معدل حدوث التقنيات القائمة على المشاركة في الأرباح والخسائر لثلاثة أسباب رئيسية: إن بعض عمليات التمويل لا تصلح بطبيعتها لتطبيق مبدأ تقاسم الأرباح؛ وفي بعض السياقات (البلدان القطاعات) قد يكون هناك تباين في المعلومات وخطر المشاكل الأخلاقية سبب في تثبيط استخدام التقنيات القائمة على الشراكة؛ القوى التنافسية يمكن أن تدفع البنوك الإسلامية إلى مواعمة شروط عروضها مع شروط البنوك القائمة على الفائدة، خاصة عندما يتعايش النموذجان في نفس الترتيب في الدولة. بشكل عام، تجدر الإشارة إلى أن إنشاء الأدوات التي سيتم إدخالها في عالم سوق رأس المال يجب أن يبدأ بالضرورة من الصيغ التعاقدية المذكورة أعلاه. لذلك ينبغي تحليل أهلية الاستثمارات في الأدوات المالية الغربية القياسية، بمعنى آخر، يجب مقارنة أشكال الاستثمار المتاحة في العالم الغربي بما هو مقبول في الشريعة الإسلامية.

• العنوان: أدوات التمويل الإسلامي في

دعم النظام الإيطالي

• المؤلف: فديريكا ميليتتا و بينرتو باولو

رامبينو

• دار النشر: بيارسون للنشر

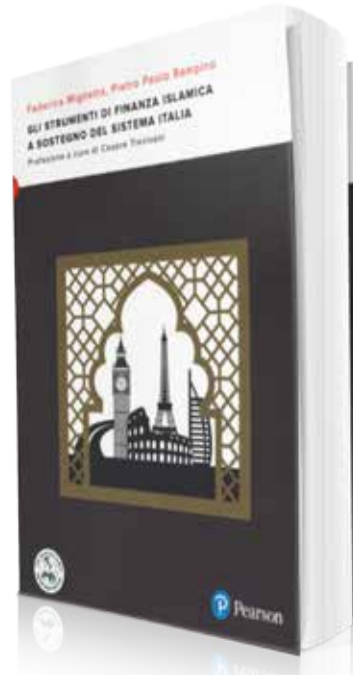
• بلد الإصدار: إيطاليا

• لغة الكتاب: الإيطالية

• تاريخ الإصدار: أيار 2018

• عدد الصفحات: 89

\* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا



الإسلامية، يكون عقد الإيجار معادلاً لنقل الحق في التمتع بالأصل بمقابل محدد يتم تحديده في وقت العقد ويتم احتسابه على أساس الاستخدام الذي ينوي رجل الأعمال الاستفادة منه. يجب أن ينص العقد على الاستخدام الفعال للأصل المؤجر، والذي يجب أن يكون المستخدم قادراً على الاستفادة منه. تظل ملكية الأصل المؤجر للمستثمر الذي يتحمل المخاطر ذات الصلة طوال مدة العقد؛ وبالتالي فإن أوجه التشابه مع عقود التأجير على النمط الغربي واضحة. يمكن تأمين أساليب التمويل هذه في وثائق كعقود الإجارة ذات السعر الثابت أو المتغير.

بالإضافة إلى التقنيات القائمة على المشاركة في الأرباح والخسائر وأشكال التمويل غير التشاركية، يوفر القانون الإسلامي أشكالاً من القروض المجانية (القرض الحسن) مخصصة للأفراد أو الشركات التي تواجه صعوبات مالية، والتي تخدم الأغراض الخيرية. لذلك ليس هناك فوائد للدفع. هذا شكل من أشكال المساعدة المالية التي يصعب بلا شك تصديرها إلى الغرب.

أخيراً، يتم إكمال نطاق العقود المؤهلة من خلال عقود الكفالة، والأمانة، والوكالة والتي تتألف من تقديم خدمات الضمان والحضانة والوكالة والخدمات الاستشارية.

الرأي السائد بين الفقهاء الإسلاميين هو أن استخدام أشكال التمويل غير القائمة على المشاركة يجب أن

من هذه العملية (الذي يعتبر أن هذه العمليات عادة ما يحكمها القانون الإنجليزي) وبالتالي هناك أوجه تشابه قوية مع أحكام المادة رقم ٢٥٤٢ للأحوال المدنية في إيطاليا وعلى وجه الخصوص الأدوات المستخدمة في عقد المضاربة فإن أولئك الذين يتلقون الأموال هم وحدهم المسؤولون عن المشروع. ويتحمل الطرف الذي يحصل على المال المخاطر المالية الكاملة لأي خسائر. وبموجب هذا العقد، يمكن إصدار وثائق تمثل عملية المضاربة. تمثل هذه الوثائق مساهمة رأس المال لشركة معينة دون صلاحيات الإدارة والرقابة.

هناك نوعان رئيسيان من عقود التشارك: التشارك بالملكية وهي شراكة تقوم على الملكية المشتركة للسلعة، والتشارك بالعقود والذي يقوم على عقد بطبيعة المشاركة. بموجب عقد التشارك، يوافق البنك والعمل (طرفان أو أكثر) على حصة رأس المال (الخدمات أو العمل) التي يعطيها كل منهم للمشروع لتقوم هذه الأطراف بالمشاركة في تنفيذ وإدارة المشروع؛ يتم تقسيم الأرباح على النحو المتفق عليه في العقد حيث يتم توزيع الخسائر بما يتناسب مع رأس المال، الخدمات والعمل. وبالتالي فإن العقد ساري المفعول عندما يمكن لجميع الأطراف المعنية الدخول بشكل صحيح في العقد وتوقيع الاتفاقية دون عوائق أو قيود. يمكن وجود اختلافات بين نوعي العقود في طرق تمويل الاستثمار: في المضاربة يسهم البنك بالكامل برأس المال، بينما في التشارك يشارك كل من البنك ورجل الأعمال مالياً في المشروع؛ في إدارة الأمر نفسه، في الحالة الأولى تقع المسؤولية الحصرية على المضارب، في حين يتم تقاسمها في الحالة الثانية؛ وفي ملكية الأصول المشتراة من خلال الاستثمار في المضاربة، تبقى الملكية للبنك، في حين أنها ملكية مشتركة في التشارك. لذلك، في حالة وجود عقد شراكة في المشاركة يحكمه القانون الإيطالي يمكن اعتبار العملية مؤهلة أيضاً بموجب القانون الإسلامي.

مع مرور الوقت و ظهور متطلبات جديدة تم تطوير العديد من المتغيرات لهذا العقد والتي لها نفس القدر من الطابع التجاري. على سبيل المثال، هناك أشكال من «السيولة» يتم تعريفها على أنها عملية التورق التي يتم استخدامها عن طريق بيع وشراء المعادن الثمينة. الفئة الرئيسية الأخرى من العقود غير الثابتة هي الغير قائمة على المشاركة في الأرباح والخسائر كعقود الإيجار أو التأجير. في الشريعة



## الإله المعبود بحق في القرآن جاك مايلز

عبدالرحمن السليمان \*

موضوع هذا الكتاب الرئيس هو استجلاء صورة الإله المعبود بحق في الإسلام من خلال استعراض القصص القرآني وما يوازيه من قصص في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. يوظف الكاتب في تقديمه صورة المعبود بحق في الإسلام منهج الأدب المقارن. ويحسب للكاتب تصريحه في صدر الكتاب بأنه يعالج هذا الموضوع الشائك بدون أحكام مسبقة والتزامه بهذا التصريح في كتابه من أوله إلى آخره.

حول صورة الإله المعبود بحق بناء على ثمانتي قصص رئيسة وردت في القرآن الكريم وفي الكتاب المقدس. يتكون الكتاب المقدس من جزأين: العهد القديم (أسفار اليهود) والعهد الجديد (أسفار النصارى). وردت سبع من القصص موضوع البحث في كتاب العهد القديم، وواحدة (عيسى وأمه مريم العذراء) في العهد الجديد. والمعروف في أدبيات الكتاب المقدس أن صورة الإله فيه غير مطردة كما هي في القرآن الكريم، ذلك أن صورة الإله في العهد القديم مختلفة كلياً عن صورة الإله في العهد الجديد. والكاتب يكاد أن يعتبرهما صورة واحدة ثم يقارنها مع صورة الإله المعبود بحق في القرآن الكريم بناء على قصص منتقاة بعناية من الكتاب المقدس والقرآن الكريم. لكن المقارنة البسيطة بين هذه الصور الثلاث: صورة الإله في العهد القديم، وصورة الإله في العهد الجديد وصورة الإله في القرآن الكريم تبرز ثلاث مرجعيات عقديّة مختلفة واحدة مطردة مع نفسها ومع الإرث التوحيدي الإبراهيمي (المرجعية القرآنية)، وواحدة مضطربة (مرجعية العهد القديم) وثالثة مختلفة (مرجعية العهد الجديد). وتُستجلى هذه الصور الثلاث من قصص وسرديات كثيرة منها قصة آدم وحواء في القرآن الكريم والعهد القديم. ففي القصتين حدثت المعصية وطُرد آدم وحواء من الجنة إلى الأرض نتيجة للمعصية. لكن التوراة (سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الآية ٥ وما يليها) تجعل حواء سبب الخطيئة، فهي التي أغوت آدم وجعلته يأكل من ثمر الشجرة التي حرم أكل ثمرها عليهما، بينما يجعل القرآن الكريم (سورة البقرة، الآية ٣٥ وما يليها) الشيطان سبب الإغواء ويساوي بين آدم وحواء في الوقوع في المعصية. ثم جاءت النصرانية وحملت حواء مسؤولية هذه «الخطيئة الأزلية»، مما أدى إلى اعتبار المرأة فيما بعد مرادفاً للشيطان الرجيم في الأدبيات النصرانية. فالمرأة «وليس مشيئة الله» هي سبب الخطيئة الأزلية والمسبب المباشر لطرد آدم من الجنة. وتتجلى أهمية ذلك في أن العقيدة النصرانية تعتبر الخطيئة الأزلية خطيئة متوارثة يرثها كل مولود عن أبويه آدم وحواء، وترى أنها خطيئة لا خيرة للإنسان في التحرر منها إلا بالإيمان بالمخلص وهو المسيح الذي اقتدى العالم بدمه وخلصه من الخطيئة الأزلية. والافتداء هنا: الموت على الصليب في العقيدة النصرانية. أي أن المسيح اقتدى العالم بدمائه على الصليب وخلصهم بذلك من الخطيئة الأزلية وبالتالي من الجحيم. وجعل هذا الاعتقاد آباء الكنيسة يعتبرون المرأة السبب المباشر في سفك دماء المسيح عليه السلام. فالمرأة هي المسؤولة عن طرد الإنسان من الجنة عند اليهود من جهة، وعن صلب المسيح في العقيدة المسيحية من جهة أخرى. لذلك اعتبرت المرأة لقرون عديدة كائنًا حيوانيًا بدون نفس ناطقة تضمحل وتتلاشى بعد الموت ولا تبعث يوم القيامة. إذن لدينا هنا ثلاث صور: صورة الإله في

المؤقت. يريد بـ «تعليق الإنكار المؤقت»، وضع الاعتقاد أو الحكم المسبق على شيء ما جانباً كي يستطيع الإنسان فهم ذلك الشيء بطريقة مجردة. بكلام آخر: يضع الكاتب إيمانه جانباً ليتمكن من التلويح إلى النص عبر منظور النص ذاته وليس عبر مرجعية دينية أو فكرية أخرى قد تحدد مسبقاً نظرتة إلى النص. ويحد الكاتب مقارنته النقدية هذه بالقول إن «النقد الأدبي الذي ينطلق من القيمة الجمالية للنص بصفته أدبياً، شيء مختلف عن المقاربة التاريخية للنص الأدبي أو النقد التاريخي للنص». إذ تنطلق المقاربتان الأخيرتان من طائفة من الأسئلة حول النص وتاريخ تدوينه والأشخاص المدونين له وهل كانوا رجالاً أو نساءً وفيما إذا كان النص المدروس أصلياً أو منحولاً كله أو بعضه إلى آخر الأسئلة التي تفرضا مقارنة تاريخ الأدب أو مقارنة النقد التاريخي للنص. أما الكاتب فينطلق في كتابه من النص الأدبي «بصفته عملاً جمالياً فنياً بمعزل عن الزمان والمكان وتاريخ نشوئه، وبيئة نشوئه. ويدعو الكاتب اليهود والنصارى «وكل من ينكر حقيقة المسلمين القائلة إن القرآن يحتوي على كلمة الله الأخيرة إلى البشرية وأنه تاج الوحي الإلهي» الذي يصحح ما اعترى أسفار اليهود والنصارى من نقص «إلى تعليق إنكارهم لحقيقة المسلمين هذه والنظر إلى الإله المعبود بحق بأنه الشخص الرئيس في القرآن وإلى القرآن بأنه عمل أدبي غاية في الروعة والقوة». ثم يدعو الكاتب قراءه إلى عدم إسقاط أعمال العنف التي ارتكبتها أتباع تنظيم داعش على الإسلام، ويؤكد على ضرورة التفريق بين الإسلام من جهة وأفعال بعض التنظيمات الإسلامية مثل القاعدة وداعش وغيرها من جهة أخرى، وبموضوعية تحسب للكاتب. وللتدليل على أهمية وضع ذلك في نصابه الطبيعي، يستحضر الكاتب بعض نصوص الكتاب المقدس الكثيرة التي تحت على العنف مثل تلك الواردة في سفر صموئيل الأول (الإصحاح ١٥، الآيات ٢ و٣): «٢. هكذا يقول رب الجنود: إنني قد تذكرت ما فعل العماليق ببني إسرائيل حين وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر. ٣. فالآن اذهب واضرب العماليق، وحرّموا كل ما لهم ولا تعفوا عنهم بل اقتلوا كل رجل وكل امرأة وكل طفل وكل رضيع وكل البقر والغنم وكل البعير والحمير». ثم يطرح الكاتب بعد استحضار تلك النصوص سؤالاً إنكارياً هو: «هل هذه هي النصرانية التي تؤمن بها؟» ثم يجيب مباشرة بالقول «بالطبع لا، ليس قاتل الأطفال هذا هو الإله الذي نعبد بحق!» ثم يختم الكاتب فصله التمهيدي بالدعوة إلى ضرورة التفريق بين بعض النصوص ذات الطابع العنيف في الأسفار الدينية وبين الدين بصفته منظومة شاملة، وبين سلوك بعض الجماعات المتطرفة في اليهودية والنصرانية والإسلام، وبين جمهور اليهود والنصارى والمسلمين. في الحقيقة يطرح الكتاب مواضيع وإشكاليات عويصة تتمحور كلها

وهذا أمر في غاية الأهمية، لأسباب كثيرة نستحضر منها هنا سببين اثنين. السبب الأول: تجاوز عدد المسلمين في الغرب الأربعة عشر مليون مسلم، بحيث أصبحوا يشكلون جزءاً مهماً من النسيج الاجتماعي الغربي، وهذا يفرض عليهم وعلى الغربيين - نصارى معتقدين أكانوا أو ملحدين - مقارنة مقارنة بين الإسلام والديانات والمعتقدات السائدة في الغرب وأهمها النصرانية واليهودية والتيارات العقدية والفلسفية. السبب الثاني: تفضيل معظم المسلمين استعمال لفظ الجلالة (الله / Allah) في نصوصهم الدينية بدلاً من اللفظة الدالة على المعبود بحق في التقاليد اليهودية النصرانية، أي (God) في الإنكليزية أو (Dieu) في الفرنسية. أدى هذا التطور إلى نشوء حساسية لدى كثير من المسلمين من استعمال (God) في الإنكليزية أو (Dieu) في الفرنسية للتدليل على الإله المعبود بحق في الإسلام، لذلك يفضلون نحررة لفظ الجلالة العربي إلى (Allah). وصار بعض الأصوليين النصارى يوظفون لفظ الجلالة (Allah) عند حديثهم عن المسلمين بطريقة توحي بأنه إله وثني لا يمت إلى الديانات الإبراهيمية بصلة. من ثمة أهمية هذا الكتاب الذي ألفه كاتب محسوب على التيار المسيحي البروتستانتي المحافظ.

يتألف الكتاب من مقدمة مطولة وثمانية فصول وخاتمة مطولة ثم ملحق يعرض الكاتب فيه لصورة الشيطان في القرآن الكريم والكتاب المقدس. يحاول الكاتب أن يستجلى في كتابه صورة الإله في ثمانتي قصص قرآنية لها ما يوازيها في الكتاب المقدس هي: (١) قصة آدم وحواء؛ (٢) قصة آدم وابنيه قابيل وهابيل؛ (٣) قصة نوح؛ (٤) قصة إبراهيم وأبيه أزر؛ (٥) قصة إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق؛ (٦) قصة يوسف وإخوته؛ (٧) قصة موسى؛ وأخيراً (٨) قصة عيسى وأمه مريم العذراء. ويبدل الكاتب جهداً كبيراً لاستجلاء صورة الإله المعبود بحق في الإسلام واليهودية والنصرانية من خلال مقارنة أدبية نقدية دقيقة بين القصص القرآني والقصص التوراتي والإنجيلي مع الإشارة إلى أن هذا الأخير مقتصر على قصة عيسى وأمه مريم العذراء فقط لأن القصص السبع الأولى وردت في العهد القديم.

يستهل الكاتب كتابه بالقول إنه ألف كتاباً عن صورة الإله المعبود بحق في اليهودية وكتاباً عن صورة الإله المعبود بحق في النصرانية. وما هو الآن يصدر كتابه الثالث عن صورة الإله المعبود بحق في الإسلام. ويصرح أيضاً بأنه - مسيحي بروتستانتي معتقد - ومع ذلك فإنه - لا يقارن صورة الإله المعبود بحق في الديانات السماوية الثلاث مقارنة عقديّة بل مقارنة أدبية نقدية - من خلال تحليل النصوص ومقارنتها مع بعضها. ويضيف بأنه لا يعالج النصوص الدينية - من خلال إيمان المؤمن بل من خلال تعليق الإنكار



بحديث بين الإله المعبود بحق ومخلوق من مخلوقاته. فنحن هنا إزاء صورة للإله المعبود في التوراة يغسل رجله من عناء السفر ويأكل ويفاوض غيره بالكلام. أما في القرآن الكريم (هود، ٦٩-٧٦) فالذين يبشرون إبراهيم هم ملائكة أرسلهم الله إليه ليبشروه بالسلام ويخبروه عما سيحلّ بقوم لوط من عذاب. ولم يأكلوا من العجل الذي قدمه لهم إبراهيم لأنهم ملائكة. كما أن ضحك سارة في القرآن الكريم لم يكن سخرية من البشارة بسبب سنّها، بل فرحاً من طمأنة الملائكة لإبراهيم بأنهم لم يُرسلوا إلى قوم إبراهيم بل إلى قوم لوط. من جهة أخرى: يُستشف من قصة امتحان إبراهيم بالتضحية بابنه أن العهد القديم يعامل الذبيح «الذي هو إسحاق عند اليهود والنصارى» بغموض شديد، ويقدم الذبيح على أنه ساذج لا يدري ما يحدث له. وهنا يطرح الكاتب التساؤل التالي: «إيمان من يُمتحن في هذه القصة يا ترى؟ أو إيمان إبراهيم أم إيمان إسحاق؟» يجب الكاتب بأن السياق لا يسعف بإجابة واضحة على هذا التساؤل خصوصاً وأن إسحاق في سياق رواية العهد القديم يجهل ما يجري له بالكلية. ثم يتساءل الكاتب من جديد: «وهب أنه شك في أن شيئاً ما يجري له عندما أخذه أبوه معه ليضحي به: هل هو موافق على التضحية به لله؟ وهل هو خائف من ذبحه؟ وهل سيقاوم أباه بهدف النجاة بنفسه من الموت؟» ويجب الكاتب من جديد بأن السياق لا يسعف بإجابة واضحة على هذا التساؤل. ثم يقارن الكاتب هذا السرد مع ما جاء في الآية ١٠٢ من سورة الصافات: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا آبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ). هنا يرى الكاتب أن الامتحان في السياق القرآني إنما هو عن بينة مطلقة لإبراهيم، لذلك يستشير إبراهيم ابنه في رؤياه كي يكون على بينة من أمره، فيختبر صبره وطاعته لله ثم لأبيه. ثم يختم الكاتب بالقول «إن أروع ما في السرد القرآني لقصة إبراهيم هي الخضوع» خضوع الأب والابن «التام وتسليمهما الفوري لمشيئة الله. أما في التوراة فإن امتحان الله لإبراهيم يُسرد على أنه قصة تاريخية؛ بينما يرى الإنجيل في القصة بُعداً رمزياً محدوداً فقط».

الكتاب مهم للغاية، وقد بذل كاتبه جهداً صادقاً في المقارنة بين صورة الإله في القرآن الكريم وفي الكتاب المقدس بهدف استجلاء الفروق بين الصورتين، في محاولة واضحة منه لتقريب صورة الإله في القرآن الكريم إلى قرائه، وجلهم من المسيحيين المعتقدين، بهدف فهم القرآن الكريم وفهم علاقته بالكتاب المقدس.

• الكتاب: الإله المعبود بحق في القرآن

• الكاتب: جاك مايلز (Jack Miles). المترجم: أريان فيرهایه (Adrian Verheij)

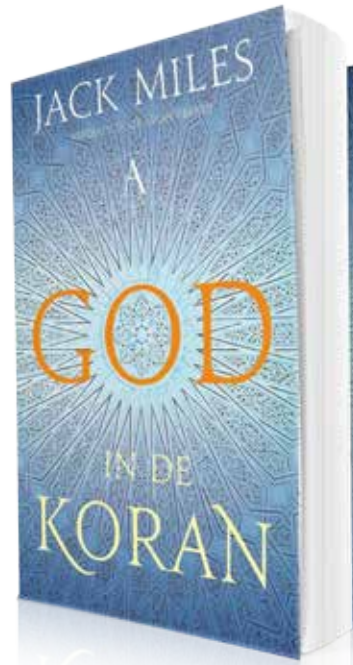
• الناشر: دار آئينيوم بولاق - فان غينيب - هولندا

• اللغة: الهولندية

• عدد الصفحات: 311 صفحة

• سنة النشر: 2019

\* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا



نقطتين مهمتين يتفرد بهما القرآن الكريم بالمقارنة مع الكتاب المقدس هما: «أن الإله المعبود بحق هو الذي يتحدث في القرآن» وليس الأنبياء كما هي الحال بالنسبة إلى العهد القديم أو الرسل كما هي الحال بالنسبة إلى العهد الجديد، «وأن الإله المعبود بحق في القرآن يقتصر في عرض سير الأوائل من الأنبياء والأمم على تصويب ما هو غير صحيح من تلك السير» في الكتاب المقدس» بالإضافة إلى إكمال ما أهمله اليهود والنصارى بسبب الغفلة، كما يرى الكاتب. وهذا، بدوره، يبرز بجلاء الصورة الشاملة الكاملة للإله المعبود بحق في القرآن الكريم بالمقارنة مع صورة الإله المعبود بحق في العهد القديم، الذي يبدو إلهاً قليلاً محلياً أكثر منه إلهاً للبشرية جمعاء أو رباً للعالمين. كما يبرز الصورة التوحيدية الكاملة للإله المعبود بحق في القرآن الكريم بالمقارنة مع صورة الإله المعبود بحق في العهد الجديد، الذي هو فيه إله البشرية جمعاء لكنه إله بأقنيم ثلاثة هي الإله الأب والإله الابن والروح القدس. إنه «الإله-الأب» أو «الإله-الإنسان» كما يُشار إلى ذلك في العقيدة النصرانية. فصورة إله البشرية جمعاء صورة نجدها في الإسلام وفي النصرانية لكننا لا نجدها في اليهودية، وصورة الإله بثلاثة أقنيم نجدها في النصرانية ولا نجدها في اليهودية وفي الإسلام. تبرز هذه الصورة بجلاء عند استعراض قصص الأنبياء في القرآن الكريم والكتاب المقدس ومقارنتها مع بعضها. ونقتصر في هذا العرض على النظر في مقارنة قصة إبراهيم وابنه إسماعيل وإسحاق كما وردت في العهد القديم والقرآن الكريم.

تتعلق المقارنة ببشارة الله لإبراهيم بغلام ثم بامتحانه بذبح هذا الغلام (إسماعيل عند المسلمين أو إسحاق عند اليهود والنصارى). فالذي يبشر إبراهيم بمولود في العهد القديم (الإصحاح ١٨ الآيات ١-١٥) هو الرب نفسه مصحوباً بشخصين مرّاً على إبراهيم فصنع لهم طعاماً عجلًا وخبزاً وزيّداً ولبناً، فجلسوا وأكلوا جميعاً: الإله المعبود بحق في العهد القديم وصاحبه.. ثم بشر الرب سارة بغلام فضحكت من البشارة. فراجعها الرب في الضحك فأنكرت سارة بأنها ضحكت عند سماعها ببشارة الرب لها بغلام وهي عجوز؛ فقال لها الرب: «لا بل ضحكت» وهذا حوار أشبه بشخصين عاديّين منه

الإسلام الذي يحمل آدم وحواء معاً المسؤولية ويعاقبهما معاً على المعصية بالطرد من الجنة إلى الأرض، ثم يفرّج لهما معصيتهما ويتوب عليهما. ثم صورة الإله في اليهودية الذي يجعل المرأة سبب الغواية وطرد آدم من الجنة ويجعلها رديفاً للشيطان الرجيم. ثم صورة الإله في النصرانية الذي يوحى للشيطان بإغواء حواء التي أغوت آدم بدورها فعصى ربّه فتوارث بنوه الخطيئة الأزلية بمشيئة إلهية اضطر الإله معها في مرحلة متأخرة من تاريخ البشرية إلى التضحية بابنه كي يفترق البشريّة بدمائه ليخلصها من الخطيئة الأزلية. فكيف تستقيم المقارنة؟

نعم، صحيح أن الإسلام والنصرانية واليهودية ديانات توحيدية خرجت من بوتقة واحدة دون الوحي فيها بلغات تعود إلى أصل واحد هي العربية والآرامية والعبرية. لكن ثمة تطورات كثيرة طرأت على المفاهيم اللغوية والمصطلحات الدينية في تلك الديانات مما أحدث فروقات مفاهيمية كثيرة بينها أدت إلى الاختلاف بين الصور الثلاث للإله المعبود بحق كما ذكر أعلاه. ولقد لاحظ علماء الكتاب المقدس الاختلاف بين صورة الإله في العهد القديم وصورة الإله في العهد الجديد وحاولوا التوفيق بينهما. ولعل أكثر الملاحظين تطرفاً هو بطليموس العرفاني (الراحل حوالي ١٨٠ ميلادي) الذي حاول التوفيق بين صورة الإله التي يقدمها كتاب العهد القديم، وصورة الإله التي تقدمها الأناجيل من خلال تدليله على التضاد بين الصورتين معتمداً في ذلك على أماكن بعينها من أسفار العهد القديم ثم محاولة البرهنة بأن الإله الذي أوحى بالتوراة أو ببعض منها إلى موسى هو غير الإله الذي بعث عيسى وأوحى بالأناجيل إلى الرسل، أي أن إله اليهودية ليس هو هو إله المسيحية! لقد عبر بطليموس العرفاني، في رسالته الشهيرة التي كتبها لفتاة مسيحية اسمها (فلورا) حاول فيها استمالتها إلى مذهب العرفاني، عمّا يعتقد كثير من أبحار النصرانية نتيجة للاختلاف الكبير في الصورتين: صورة الإله في العهد القديم وصورة الإله في العهد الجديد، ولكن دون أن يصرّحوا بذلك كما فعل بطليموس.

إن ما تقدم يجعلنا أمام إشكالية حقيقية تجنب الكاتب التطرق إليها في كتابه، فجعل الإله في التقليد اليهودي النصراني صورة واحدة قارنها مع صورة الإله في القرآن الكريم. فمن جهة تتجانس هذه الألفاظ لغوياً لأن العربية (لغة القرآن الكريم) والعبرية (لغة العهد القديم) والآرامية (لغة الإنجيل الأصلية) لغات ذات أصل واحد تتجانس كلماتها تأثلياً في حالات كثيرة مثل كلمتي (إل) و(إله) الموجودتين في العربية والآرامية (/إيلا/ و/بأطارد= /ألاه/) والعبرية (אל = /إيل/ و/بأطارد = אלה/ /الوه/)، وذلك للدلالة على الإله المعبود بحق، وتفترق عند المعاني الدينية المفهومة من تلك الكلمات المتجانسة تأثلياً. ويُعزى هذا الافتراق في المعاني إلى التطورات المنفردة التي شهدتها الديانتان اليهودية والنصرانية عبر الزمن. ولئن نتوقف عند هذه التطورات في هذه المراجعة لأن ذلك يتجاوز الغرض منها كثيراً. لكننا نستنتج أن هذه التطورات تجعل مقارنة الكاتب النقدية غير ذات جدوى دون التوقف عند الشبكة المفاهيمية المختلفة بعد تطور الديانات الثلاث وصرورتها ديانات مستقلة. وهو ما لا يفعله الكاتب، بل يقتصر في مقارنته على عرض نصوص دينية يعالجها معالجة أدبية نقدية، فيضطر «بإرادة أو بدون إرادة» إلى إبراز القيمة الأدبية العالية للقرآن الكريم بالمقارنة مع الأسلوب البسيط للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ويعزو الكاتب ذلك إلى



## عصر التضليل: كيف تنتشر المعتقدات الزائفة كايلن أوكونور وجيمس أوين ويثرل

فينان نبيل \*

انتشرت في القرون الوسطى أسطورة تحمل اسم «الحمل التارتاري»، أو «شجرة الحملان». اعتقد الناس لعدة قرون أن الحملان عبارة عن هجين من الحيوان والنبات، تنمو على الأشجار، ومصطلح «ترتاري» كان اسما يطلق على جزء كبير من آسيا الوسطى، وتقول الأسطورة أن هناك مخلوقا غريبا عُرف «بنبات الحملان» وتم رسمه على شكل حمل كامل الحجم يتغذى من الأرض بواسطة جذع صغير، وأنه قادر على التحرك بطريقة محدودة تسمح له بالرعي والتغذي على الغطاء النباتي، وإذا لم يستطع الوصول للغذاء فإنه يتضور جوعا ويموت، ويشكل الجذع الثابت في الأرض عنصرا حيويا لبقائه وإذا تم قطعه يموت. على الرغم من أن هذا الأمر يبدو غريبا وسخيفا، ويصعب تأكيده علميا، إلا أنه لاقى جاذبية وانتشارا على نطاق واسع، واستمر، ولم يشكك أحد في وجود هذا النبات/ الحيوان الهجين الأسطوري.

إلى تقديم معلومات مضللة لدرجة أنه لم يعد يتحدث في أي وقت، ولا في أي مناسبة دون أن يلقي الأكاذيب الصريحة والتي يعلم يقينا أنها خاطئة، وليس مجرد أشياء يعتقد أنها خاطئة، ويؤمن أن الملايين من الناس في أمريكا وحول العالم بتلك الأكاذيب ويشرونها. تتمتع آراء ترامب بالسلطة فقط لأنها تعكس آراء ملايين الأميركيين الذين صوتوا لصالحه، كما أنه يصف وجهات النظر المعارضة على أنها «أخبار وهمية». هناك تدفق محموم لسيل من الأكاذيب ينساب كل يوم من «دونالد ترامب»، والذي وصل لدرجة أنه أعلن أن أكثر من ثلث البلاد تنفق فيما يقول كما لو أنها حقائق أتت من «يسوع المسيح»، لدرجة أن هؤلاء الأشخاص إذا حصلوا على شيك حكومي قيمته خمسمائة دولار، وأخبرهم ترامب أن الشيك في الواقع بثمانمائة دولار، فسينظرون إلى الشيك على أنه كذلك، وإذا صرف لهم البنك خمسمائة دولار سيتشككون في أن من يدير البنك من الديموقراطيين الذين صوتوا لصالح هيلاري كلينتون. ليس هناك ما يوازي هذا التزييف في التاريخ الأميركي، للدرجة التي دفعت موقع «تويتتر» لإلغاء حساب «دونالد ترامب» حتى تختفي التويتات المجنونة التي كان يطلقها في الثالثة صباحا طيلة العامين الماضيين.

وحتى يتسنى فهم كيف تنتشر المعتقدات المضللة، يجب أن نعلم من أين تأتي أولا المعلومات الخاطئة التي تشكل بها المعتقدات. إن أول مصدر للمعلومات هو الخبرات الشخصية التي تنتج عن احتكاكنا بالعالم الخارجي، فعلى سبيل المثال عندما تأكل الطماطم عدة مرات، ولم ينتج عن تناولها أي أعراض مرضية، يتكون لدينا معتقد أنها ليست خطيرة، وهذا ما جعل الأوروبيين يعتبرون الطماطم تافحا ساما لمدة تزيد عن مائتي عام، كما نتعلم أيضا بالخبرة الذاتية أن النوم يحسن حالتنا المزاجية، ولكن قد تمنعنا الطبيعة

تعد الدعاية السياسية إشكالية كبيرة لأنها تؤثر على المعتقدات، وتقوض الأدلة الحقيقية، كما يلعب التحفيز الإعلامي والأبحاث العلمية التي تتم صناعتها دورا هاما في التأسيس للمعتقدات الخاطئة، كما حدث بالضبط في مذكرات «ماندفيل» العلمية والتي أدت لانتشار واسع لأسطورة «شجرة الحملان»، هكذا تكون المعلومات الخاطئة، والأخبار المزيفة، والأبحاث العلمية الغير دقيقة مصدرا أساسيا للمعتقدات المضللة.

تم نشر خبر قبل الانتخابات الرئاسية التي أتت بترامب رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية بستة أسابيع في يوم السادس والعشرين من سبتمبر، في موقع يسمى «ETF» تحت عنوان «البابا فرنسيس يؤيد رئاسة دونالد ترامب للولايات المتحدة» للرئاسة، وكان الخبر صادما للعالم وأكبره البابا، وعندما تولت جهات التحقيق الفيدرالية التحقيق في الأمر وجدت أنه قد تم اختراق حساب مساعد «هيلاري كلينتون» من قبل القوى السياسية التي تم استبعادها من السلطة، وتسريب الخبر من خلاله. وعلى الرغم من أنه خبر غير حقيقي، إلا أنه حصل على ما يقرب من ستة وتسعين ألف إعجاب على فيسبوك، وشارك الخبر عشرة أضعاف هذا العدد، إنه أحد أكبر الأخبار انتشارا على فيسبوك خلال الفترة التي سبقت انتخابات الرئاسة الأمريكية. على النقيض من الأخبار التي نشرتها مصادر أكثر توثيقا مثل واشنطن بوست، والتي نشرت خبرا بعنوان «التاريخ المذهل لفساد ترامب» فلماذا أصبح أوباما فاسدا الآن والذي لم ينل نفس الحظ من الانتشار، ويعزى الأمر لتحيزات حزبية سافرة.

لا يمكن لكتاب مثل هذا أن يتجاهل «دونالد ترامب»، رئيس الولايات المتحدة، لأنه يعد في الوقت الحالي أقوى وأكبر مصدر للمعلومات الخاطئة على مستوى العالم، إنه يميل

يعود أصل الأسطورة إلى ما نشره المؤرخ سيرجون ماندفيل» أثناء سفره إلى وسط آسيا، وأفريقيا الوسطى، والهند، الذي رصد العديد من الأمور المجهولة، والغريبة، والغير معروفة في أوروبا آنذاك. من بين هذه الأمور العجيبة شجرة هندية تحمل نباتا يشبه الحملان الصغيرة لحما ودما، ولم يكن «ماندفيل» الوحيد الذي كتب هذا التعليق، ولكن هناك عالم إيطالي يدعى «أودريك» سجل نفس المعلومة، وأصبح يتم تداولها كحقيقة واقعة عند علماء الطبيعة، والبيولوجيين في العصور الوسطى، إلى أن اكتشف العالم السويدي «انجليبرت كامفير» الذي قام ببحث علمي بتكليف مباشر من «الملك تشارلز الثالث» وأكد أنه لا يوجد ما يسمى «بشجرة الحملان».

يطرح الكاتبان تساؤلا عن الكيفية التي يمكن أن تنتشر بها مثل هذه السخافات لعدة قرون بدون أدلة تدعمها، وماهي الآلية التي يتم من خلالها تشكيل الأباطيل لتنتشر حتى بين الخبراء، وما الذي ترمز إليه أسطورة «شجرة الحملان» في عصرنا الحالي؟ و ما هو عدد البشر الذي يمكن أن يصدقها؟ يرى المؤلفان أن الأساطير أصبحت تصيغها قوة سياسية رئيسية، تصنع المعتقدات وتشكلها، وتنشرها عبر الوسائط المتعددة على مستوى العالم. هناك ما يقترب من بليون إنسان في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وما يقرب من بليون أخرى خارجها يتأثرون بالسياسات العسكرية، والتجارية، وقوانين الهجرة لتلك البلاد. وتستخدم حكومات هذه الدول وسائل الإعلام للتأثير على مواطنيها، وعلى حطوط منافسيهم على الصعيدين المحلي أو العالمي. يتعرض مستهلكو الإعلام في أوروبا والولايات المتحدة لأثر الدعاية التي ينتجها الخصوم الأجانب، مثل الحكومة الروسية التي تدعم بعض وسائل الإعلام الناطقة باللغة الإنجليزية.





الهيكل الجديدة للتفاعل الاجتماعي في تفسير المشهد المعرفي لدينا.

يرى فلاسفة العلم أن العوامل الاجتماعية تشكل ضرورة لفهم وانتشار واستمرار المعتقدات الخاطئة. على الرغم من أننا أصبحنا متطورين بما فيه الكفاية حتى لا نصدق كل ما نسمعه أو نراه، لا زلنا نتخذ خيارات بناءً على مجموعة المعلومات المتاحة دون معرفة حقيقية لما هو صحيح، وما هو غير صحيح. في الواقع ليس لدينا خيار سوى مواصلة حياتنا بناءً على هذه المعلومات مع استخدام الخبرة الشخصية والتقييم الدقيق للمعلومات.

نعيش عصر المعلومات المضللة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، حيث انتشر تسويق الأكاذيب والأباطيل على أنها حقائق، ويؤكد الكتاب على أن تزييف الحقائق ليس جديداً، لكن الانتشار المتعمد للمعلومات الكاذبة أو المضللة قد تضاعف في القرن الماضي، مدفوعاً من كل التقنيات الحديثة لنشر المعلومات، الإذاعة والتلفزيون، والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وأصبح الأمر أكثر تعقيداً.

تكمُن أهمية الكتاب أنه يؤكد أن المعلومات أصبحت سلاحاً قوياً، وأن المعلومات الخاطئة التي تشكل المعتقدات لا ترجع بالضرورة إلى الغباء أو التحيزات المعرفية، ولكن إلى الثقة التي نضعها أحياناً في الآخرين، ويقرر المؤلفان أنه يجب معالجة هذه المعلومات على مستوى الأنظمة، فالمعرفة الحقيقية تتأكل عن طريق حملات جديدة وفعالة، مما يجعل اللحظة محفوفة بالمخاطر، ويقدم الكتاب دفاعاً فلسفياً عن الأدلة والحقائق. ويطالب الكاتبان أن تستمر الجهات الفاعلة ذات الدوافع السياسية والاقتصادية في استخدام الوسائط لتطوير أساليب جديدة وأكثر فعالية للقيام بذلك. ستتطلب مكافحة هذه الأساليب الوقت والجهد، والمال من جانب شركات التواصل الاجتماعي والحكومات، ولكن التكلفة لا تقارن بالفائدة التي تعود علينا؛ فالمعلومات، والمعتقدات تؤثر في قراراتنا المصيرية حاضراً ومستقبلاً. كتاب «عصر التضليل» وهو كتاب عن تشكيل المعتقدات خاصة المزيف منها وكيفية انتشاره، يؤكد على حقيقة معينة، وهي أن ما نعتقد به يعتمد في الأساس على ما نعرفه.

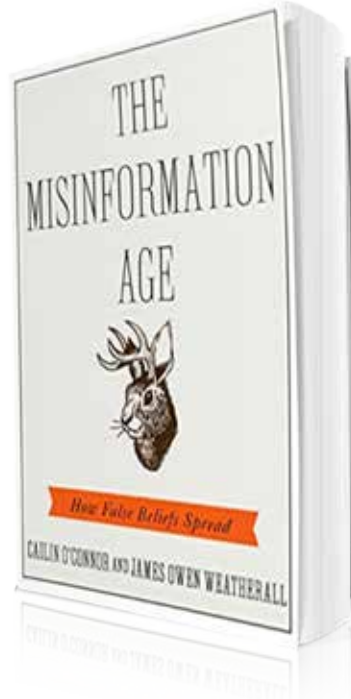
العنوان: عصر التضليل: كيف تنتشر المعتقدات الزائفة

المؤلف: كايلن أوكونور وجيمس أوين ويثزل

الناشر: - أسبن - 2019

اللغة: الإنجليزية

\* كاتبة وباحثة مصرية



الأدلة المقدمة بناءً على المعايير السابقة، ونعتبرها ملبية لاحتياجاتنا إلى حد اليقين. نهتم أحياناً بالمكانة الاجتماعية أكثر من الاهتمام بالمعتقدات الحقيقية، فيؤثر على تشكيل معتقداتنا الأشخاص رفيعي الثقافة والمتمرسين أو أصحاب السلطة والنفوذ والتأثير.

تلعب وسائل التواصل الاجتماعي من جميع المشارب سواء جماعات حقوق الإنسان، أو المجموعات التي تهتم بحياة الأقليات، وحتى الجماعات المناهضة للمهاجرين على خلق ثقافة اجتماعية وتعزيز نفوذها المجتمعي. وقد استخدم وكلاء الروس تلك الوسائل للتأثير على الجماعات الاجتماعية من أجل دفع الاستقطاب في الولايات المتحدة، وتغيير نتائج انتخابات ترامب 2016، ودعم حملة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

كشف انتشار الأخبار المزيفة عن الجانب المظلم لشبكات التواصل الاجتماعي، وقدرتها على نشر معلومات كاذبة ومضللة لا يمكن إيقافها، وتغيير تصورات الناس للواقع وزعزعة المؤسسات السياسية، وكيف تعمل الأخبار المزيفة التي تنشرها الشبكات على تغيير عالمنا.

يرى الكاتبان في نظرة استشرافية للمستقبل أن محاربة المعتقدات الخاطئة تستلزم أن نأخذ الجوانب الاجتماعية في الاعتبار، وأن نراعي أن الظروف التي نتفاعل في ظلها مع الآخرين تتغير، فيجب أن نطور آليات الاستدلال الذي نتعامل به مع البيانات الاجتماعية المختلفة، فالاستدلال الفاشل سيكون مسئولاً عن التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي وسيؤدي للدعاية المضللة كما سيؤدي إلى اتخاذ قرارات مستقبلية غير صحيحة، ونحن نحتاج إلى تقدير الدور الذي تلعبه

البشرية أحياناً من إدراك الأمور على حقيقتها عن طريق الخبرة المباشرة، وقد تمنع أصحاب المعتقدات الخاطئة من رؤية الحقائق، حتى لو كانت الأدلة الصحيحة على خطأ معتقداتهم واضحة أمامهم، هناك العديد من العوامل الذاتية التي تؤثر في تكوين المعتقدات الخاطئة مثل ذكاء الفرد ومستوى تعليمه وثقافته وتنوع مصادر معلوماته. لكن الأمور ليست بسيطة دائماً، فعندما تكون الأمور أكثر تعقيداً نحتاج لخبرات الآخرين للحصول على المعلومات، فكل حقيقة علمية نحصل عليها نحتاج فيها لآراء الخبراء والعلماء، وهنا يجب أن نقف أمام من يجب أن نمنحه الثقة حتى يكون مصدراً للمعلومات التي نكون بها معتقداتنا حتى لا نقع في أسر ما يسمى «بالنقطة العمياء للتفكير»، والتي تنتج عن الأدلة الناقصة أو المغلوطة وتشكل مقدمات وأدلة خاطئة تؤدي لنتائج غير دقيقة. ركز الكاتبان في كتاب «عصر التضليل» على العوامل الذاتية لانتشار المعتقدات الخاطئة، ومنها التحيز للتفكير الذاتي، والآراء الفردية، كما ركزا على العوامل الاجتماعية، معتمدين على نظرية المعرفة الاجتماعية التي وضحت الدور الذي تلعبه العلاقات الاجتماعية في انتشار الأكاذيب، وكيف تؤثر جوانب التفاعل الاجتماعي على المعتقدات، وأوضحوا أن المعتقدات الخاطئة تنتشر نتيجة لاعتمادنا العميق على الآخرين للحصول على المعلومات. قد يكون جل ما نعتقد به تعلمناه من الآخرين ويفوق ما تعلمناه من تجاربنا الحياتية المباشرة، واحتكاكنا بالعالم الخارجي، قد يكون هذا الانتشار الاجتماعي للمعلومات مفيداً للغاية - لأن بدونه لن تكون لدينا ثقافة واسعة ومتعددة- إلا أن له جانباً سلبياً فهو يعتبر قناة تضاعف انتشار الأباطيل، والمعتقدات غير الصحيحة.

وحتى نتجنب هذا الجانب السلبي، علينا أن نستخدم الأساليب البحثية التي تقرر لنا المصادر الموثوقة بها للحصول على المعلومات، ففي بعض الأحيان يقدم الآخرون لنا استدلالاً جيدة ونستقي المعلومات من مصادر ثبت في الماضي أنها قدمت لنا معلومات مفيدة وحقيقية، إلا أننا في أحيان كثيرة نعلم في اختيارنا على عوامل أخرى مثل الهوية المشتركة، أو المعتقدات المشتركة، مما يؤدي إلى الاستقطاب المستمر، حتى هؤلاء الذين يبحثون عن الحقيقة والذين يسعون لجمع الأدلة حول العالم، لا يثقون في أولئك المختلفين عنهم في المعتقدات، بل قد يتجاهلون الأدلة التي قد تحسن حالتهم المعرفية إذا ما كانت مصادرهما تختلف عنهم الهوية أو التوجه الأيديولوجي. إن التجاهل المتهور للأدلة يمكن أن يكون خطيراً العواقب، والتحيزات العائلية، والدينية، والأيديولوجية تضيق خياراتنا بين الحقائق، فنحن نقيم



## معنى الحياة.. محاورات حول جوهر وجودنا فوكه أوبيما

سعيد الجريري \*

هناك إجابات مقترحة، عبر التاريخ، عن السؤال الأنطولوجي العابر للثقافات، عن معنى الحياة ومغزى الوجود. ذلك السؤال الذي لا اتفاق إجماعياً على إجابته، إذ تعدد الإجابات دائماً والسؤال واحد، سواء في القطعيات الدينية أو المقاربات الفلسفية والفكرية، وما يتعداها إلى المحاولات الفردية البسيطة، كتطوير الذات وإسعادها، أو خدمة الآخرين، والمساهمة الإيجابية اجتماعياً، أو المكانة والنجاح، إلى آخر ما يفتح عليه السؤال من آفاق الإجابات المتجددة. لكن هذا الكتاب يهيبُ مناخاً، في سياق البحث عن ذلك المعنى، لنقطة انطلاق لتسمية الأشياء ذات الأهمية الاستثنائية في الحياة، بطريقة جديدة.

المحاورات الأربعين، محلاً، في سياق بحثه، المؤلف والمختلف بين محاوريه النموذجيين، مستنبطاً عدداً من الأفكار الجوهرية، لخصها في سبع رؤى جوهرية من قبيل: الضعف باعتباره جوهر وأهمية الاتصال - المرونة جنباً إلى جنب الشعور بالامتنان - الحياة كمدرسة للتعلم - الاعتراف بحدود العلوم وتقدير التقاليد الدينية - الأمل في التقدم في مسار واعي أخلاقي أكبر - فائدة الموت والبحث عن الجوهر - ما يعنيه اللامعنى من معنى.

فالنجاح والمكانة - يؤكد أوبيما - قيمتان اجتماعيتان أساسيتان تؤكدان رغبتنا في البقاء، ونحمي من خلالهما مواطن ضعفاً، بينما يقتضي الاتصال والانفتاح إظهار الضعف الذي يتطلب الثقة بالآخر. فالضعف بقدر ما هو حماقة على حد وصف أحد المحاورين، إلا أنه أيضاً شرط لكل شيء جميل وقيم في هذه الحياة.

وبصرف النظر عما إذا كان المحاور متديناً أو ملحدًا، ذكراً أو أنثى، كبيراً أو شاباً، فقد أكد الجميع تقريباً أهمية الاتصال في الحياة اليومية، وهي واسعة النطاق، كما يؤكد أوبيما: يمكن أن يكون الاتصال مع الطبيعة أو الموسيقى أو كتاب جميل. يمكنك أيضاً أن تشعر بأنك متصل بمفردك. إنه شيء متآلف للغاية، نعرفه جميعاً عن الحزن ولكن الفرح أيضاً. فالقدرة على المشاركة أمر ضروري، وهو ما يحدد ما إذا كنا سعداء.

وينوه المؤلف بمرونة الأشخاص الذين تعرضوا لخسائر كبيرة، غيرت نظرتهم بحيث أصبحوا باحثين عن معنى، أو يرغبون في إعطاء وجودهم

متسلق الجبال، وخبير الطيور... إلخ. ويقدر اختلاف حقولهم المعرفية والثقافية والاجتماعية، فإن هناك اتفاقاً بينهم، من حيث أن لا أحد يمتلك الجواب النهائي على السؤال، إذ يغدو طرح السؤال هو الإجابة، مما جعل المؤلف المحاور أكثر انفتاحاً واهتماماً بالأفكار التي لا تمثل إجابات نهائية، ويفتح التفكير فيها أفقاً على عينة ملونة من تجارب الحياة.

ولئن نأسف لعدم وجود إجابة نهائية، لنجدنا مجالاً لحرية تجعل للوجود مغزى. إنه شكل من أشكال البحث اللانهائي، ولكنه ليس عديم الجدوى، فهو يساعد على الأقل - يقول أوبيما - على التمييز وفهم القضايا الأساسية.

لقد تغيا المؤلف استكشاف أوسع مجموعة ممكنة من وجهات النظر، فتبين له أن محاوريه ينتظمون في فئتين رئيسيتين: الأشخاص الذين بحثوا عن جوهر الوجود من تلقاء أنفسهم وغالباً منذ الطفولة، ومعظمهم من الفلاسفة، والكتاب، وذوي الخلفيات الدينية، والأشخاص الذين تعرضوا لمواقف قاسية، فاضطروا إلى مواجهة السؤال، بجدية، للمرة الأولى. ذلك السؤال الذي يحفز بقدر ما أرق أوبيما على نحو فجائي، على تعلم أن نعيش مرة أخرى، كما لو كان علينا أن نتعلم المشي مرة أخرى. فالوجود لم يعد بديهياً، بعد ما حدث له، فقد أصبح كل شيء خاصاً، وليس أقله حقيقة أنه مازال موجوداً، فانهيار قلبه لفترة من الوقت عطل وجوده، وأثار أسئلة الحياة والإنسان وجوهرهما.

وفي نهاية الكتاب، يبسط المؤلف تأملاته في طبيعة

الصحفي الهولندي فوكه أوبيما الذي أصيب بسكتة قلبية قبل عامين، مات على إثرها مؤقتاً، ثم عاد إلى الحياة، بعد إسعافه في غرفة العناية المركزة، يعاين في كتابه «مغزى الحياة» هذا السؤال، من واقع تجربته مع فقدان الإحساس بالسيطرة على وجوده، من خلال التحديد الدقيق الذي يمنح نظرة ثاقبة إلى ما هو مهم، وأولويات الناس. ولأهمية الكتاب وجدليته، وحيوية موضوعه لدى المتلقي الهولندي، فقد صدر في سبع طبعات متوالية في مدة قصيرة جداً (سبتمبر - ديسمبر 2019)، محققاً بذلك صدارة لافتة في أكثر الكتب مبيعاً، رشحته لنيل جائزة Tegel، وهي أعلى جائزة صحفية في مجاله.

محتوى الكتاب أربعون محاوراً، بعدد ساعات غيبوبة الموت التي قضاها المؤلف في العناية المركزة، كان قد نشرها في صحيفة فولكس كرانت، بين سبتمبر 2018 ويوليو 2019، وأثارت ردود فعل كثيرة من جمهور قراء الصحيفة الواسعة الانتشار في هولندا. وقد عقب المؤلف على تلك المحاورات في خاتمة الكتاب التحليلية برؤى مستخلصة منها.

ويدير أوبيما محاوراته المعمقة عن مغزى الحياة، مع أربعين شخصية مختارة من حقول معرفية وثقافية ومهنية مختلفة، فثمة الفيلسوف، النفس، الطبيب، النفساني، عالم الكيمياء والأحياء، عالم البيولوجيا، عالم الفيزياء الفلكية، عالم الاجتماع، الفلكي، الأستاذ، الشاعر، الكاتب، الفنان، المؤلف، المخرج، الممثل، العازف، المستشار، تقني المعلومات، المحامي، الوسيط العقاري، مدير التخطيط،



حولها تم وضعه من قبل الناس أنفسهم، وعادةً ما يكون مستمداً من الكتب الدينية أو الأيديولوجيات، وهو ما لا يمكن أن يكون جوهرياً حقاً، ما دام الكثير من الناس لا يعيشون بتلك الكتب والأيديولوجيات، فعندما تكون الحياة غير منطقية بحد ذاتها، يستطيع أي شخص أن يصدر الحكم بنفسه. فثمة فرضية أن الناس، عادةً، لا يتفحصون حياتهم بدقة، فكل منهم مشغول جداً بالحياة نفسها. ما ينتج عنه، في كثير من الأحيان، مواجهات قاسية مع ما يسميه أوبيما بـ «جوهر الوجود»، عندما يحدث شيء دراماتيكي، كالسكتة القلبية التي تعرض لها بغثة.

لعل ما يُميز هذا الكتاب هو أن كل محادثة من محادثاته الأربعة تستميك بوجهة نظر صاحبها أو صاحبته، حتى إذا قرأت المحادثة التالية، وجدتك في مهب استمالة أخرى، لأن لا أحد يعرف معنى الحياة، وإن يكونوا جميعاً، في الوقت نفسه، يعرفونه. فمعنى الحياة شخصي للغاية، موصول في النهاية بأهمية الارتباط والاتصال: بنفسك، بالطبيعة، بالآخرين، بقوة أعلى. أي بتوسيع شبكة الاتصال، على غرار الإنترنت كمثل تقريبي، لإعطاء أكبر قدر ممكن من الأهمية لحياتنا من خلال الاتصال بالآخرين، الثقافة، الأشياء وغيرها. وكلما كانت الشبكة أكبر، شعرنا بأن أو كأن لحياتنا معنى. لكن هل هذا هو معنى الحياة نفسه؟ لا إجابة نهائية. فحياة كل منا هي معنى يحد ذاته للحياة، بحيث يمكن القول إن معنى الحياة متعدد بعدد الأشخاص، في هذا العالم المترع بالمعاني التي تتمثل في الآخرين الذين يتجلى وجودنا، ويتطور الإحساس به، بالارتباط بهم.

• الكتاب: معنى الحياة.

• المؤلف: فوكه أوبيما.

• الناشر: Atlas contact, أمستردام, 2019,

بالهولندية.

• عدد الصفحات: 377 صفحة.

\* باحث زائر في معهد هيغنز  
للتاريخ الهولندي



من أجمل ما أنتجه الإنسان -يقول أوبيما- لكن يجب علينا أن نستمر في رؤية حدوده. لقد وضعناه بديلاً للدين، حيث لا مجال للإبدال. فالموت هذا العابر هو جوهر ضعف وجودنا الذي نوقش طويلاً، والقدر المشترك هو الذي يجعلنا «إخوة في الموت» بتعبير نيتشه، ما يجعل من الضرورة أن يتعلم هؤلاء الإخوة كيفية إبداء «المزيد من التعاطف والتضامن» في ما بينهم.

ومهما تعدد الرؤى والتصورات الفلسفية والدينية لمعنى الحياة، فالإنسان هو الحياة المدفوعة بالسؤال للبحث عن المعنى. ذلك الشيء المبتوث طوال الحياة، في كل أنواع الأشياء الصغيرة. لكن ماذا لو كنا نعرف معنى الحياة؟ إن عدم المعرفة أمر جيد أيضاً، فهو المحفز على الحياة، وعلى البحث عن المعنى المستحيل، لكن في غضون ذلك نتعلم كثيراً، وذلك هو تاريخ الإنسان.

لكن من الحقائق التي لا مماراة فيها أن لا أحد على الأرض يعرف حقاً الإجابة. قد يتظاهر بعض الناس، وربما يعرفون مزيداً، لكن لا أحد يعرف ذلك حقاً. لا يمكن تأمين الثقة بإجابة واحدة، لكن الشيء الوحيد المؤكد هو أننا تموت. وهذا هو السبب في وجود سؤال جوهرى ومحوري حول معنى الحياة. لكن الحياة لا معنى لها. إنها تسيير بطريقتها الخاصة. وما تم العثور عليه جوهرياً

معنى ما بطريقة أو بأخرى. وإذا قارن حالته بحالات بعض من حاورهم، بدا له أن السكتة القلبية أشبه بالمشي في الحديقة، فهو لم يعان من أي ضرر جسدي مثلهم، ما جعله يدرك أن المرونة والامتنان للحياة، قد سارتا جنباً إلى جنب. ولقد أدرك أن الأشياء الصغيرة في الحياة مهمة، ما عزز لديه أهمية أن تشعر بالامتنان لما لديك، فهذا الشعور يجعلك والآخرين من حولك أكثر سعادة. فالأشخاص الذين يعبرون عن امتنانهم (العام أو الخاص) بشكل منتظم هم أكثر سعادة. ذلك أن للامتنان آثاراً إيجابية عديدة. فهو، على سبيل المثال، يزيد من شعورك باحترام الذات، والثقة بالنفس، ويجعلك أقل مادية.

ومما استوقف المؤلف، مثلاً، إشارة أحد محاوريه ذي الخلفية الهندوسية «كن إنساناً»، فالحياة هي عملية تعليمية مستمرة تهدف إلى اكتشاف معناها. أنت لست بشراً بعد، فعليك أن تصبحه وأن تتحول إلى فرد يفكر بنفسه، ويحدد أخلاقياته، وقبل كل شيء، يختبر نفسه... والقصد من ذلك هو أن تكون روحك قادرة على الاستمرار في طريقها الروحي. فزي الرؤية الهندوسية تؤدي المعرفة بالنفس المكتسبة بهذه الطريقة، إلى «الاتحاد مع الإلهي»، وليست الحكمة نظرة ثابتة في لحظة واحدة، ولكنها شيء يجب عليك الوصول إليه من خلال الممارسة، ويمكن القيام بذلك بعدة طرق، منها التأمل على سبيل المثال.

ويكتشف المؤلف مع أحد محاوريه، وهو طبيب أصيب بسرطان البروستاتا لمدة ستة عشر عاماً، تعلم كيفية مواجهة المرض كل يوم، وما يؤدي إليه: تعلم أن ترى بشكل أفضل ما هو جوهر الحياة. أن تدرك ما تغافلت عنه عندما كنت بصحة جيدة، كجمال الطبيعة الذي لم يكن يراه قبل المرض.

وبالرغم من اتساع نطاق المنظور العلمي، بفضل التقدم الهائل الذي أحل العلم محل الدين، في الإجابة عن الأسئلة الوجودية القديمة، فإن هناك شكوكاً لما تزل حول إمكانية الإجابة العلمية النهائية عليها. ويتساءل: ألا نمنح العلم سلطة أكبر مما يجب؟ لعل من أكبر الإشكاليات في عصرنا أن الإيمان بالعلم صار مطلقاً للغاية. لا ريب أنه



## عصر الرقابة الرأسمالية شوشانا زوبوف

علي الرواحي \*

مع العصر الرقمي الذي نعيشه حالياً، تظهر الكثير من التحديات المختلفة، والتي تؤثر بشكل أساسي على المستقبل البشري من مختلف الجوانب والأصعدة، ففي ظل الأتمتة، وسيطرة الآلة على الكثير من مفاصل الحياة المعاصرة، تصبح الحياة أسهل من جهة، لكنها تواجه من الجهة الأخرى الكثير من التحديات غير المسبوقة على جميع المستويات بما في ذلك مستوى المستقبل البشري برمته. تسيطر وتنتشر في هذا العصر مصطلحات جديدة ترتبط بهذا العصر الرقمي، مثل مصطلح «رأسمالية الرقابة» أو «الرقابة الرأسمالية» الذي يشير إلى تسليع المعلومات الشخصية بين الشركات الكبرى، وتحديدًا تلك الشركات التي تنصدر قائمة الأرباح من جهة، وتزايد أعداد المستخدمين من الجهة الأخرى، بالرغم من وجود البدائل بين فترة وأخرى.

وتطرح ملامح العصر الرقمي الكثير من الأسئلة التي تؤرق المهتمين بالمستقبل البشري في مقابل حلول الآلة محل الكثير من الوظائف والمهام؛ ومنها: هل سيعمل الجنس البشري لدى آلات ذكية؟ أم أن لدينا أشخاصاً أذكى يعملون بجانب آلات ذكية؟

لم يعد هذا السؤال جديداً، فقد طرح منذ ما يزيد على ٣٠ عاماً، بصيغ مختلفة، وعن طريق الكثير من الأشخاص الذين يعملون أو يتابعون منتجات العصر الرقمي بكل شغف وترقب، حيث نجد أن مؤلفة هذا العمل - على سبيل المثال- طرحت قبل ٣٠ عاماً سؤالاً من خلال كتابها بعنوان «عصر الآلات الذكية: مستقبل العمل والسلطة»، وهو يسعى في تلك الفترة كما هي حال العمل الحالي إلى فتح فصول جديدة في الفهم، والتعامل، وسن القوانين المختلفة للدخول في العصر الرقمي الذي تتسع بوابته كل يوم.

ولفهم جذور أو أصول مصطلح الرقابة الرأسمالية تعيدنا الكاتبة إلى العام ٢٠١١م؛ حيث نجد في شهر أغسطس من نفس العام، قد وقعت ثلاثة أحداث متباعدة، ومتفرقة ولكنها تشير إلى هذا الاتجاه، حيث أن الحدث الأول كان في وادي السيلكون عن طريق رائدة الأعمال الكبيرة شركة أبل الشهيرة التي استحدثت حلولاً رقمية للكثير من المصاعب والتحديات الاقتصادية التقليدية التي تمر بها المجتمعات المختلفة. وثانياً: عندما أطلقت الشرطة البريطانية النار على مواطن أشعلت على أثره الشغب على نطاق واسع في كل أرجاء المدينة، وذلك بعد الاكتشاف المتأخر بأن النمو الرقمي العالمي قد أخفق في التقليل من اللامساواة بين البشر، بل وأعاد إنتاجها بطرق مختلفة. كما أن السبب الثالث يعود إلى إصرار شاب أسباني عن طريق تحدي شركة جوجل بطلبه منها الحق في التخلي، أو النسيان، أو المحو كما يطلق عليه البعض، وهي تعني وجود الحق لدى المواطن الأوروبي تحديداً، وربما بشكل حصري إلى حد كبير على الطلب من جوجل أن يتم محو كل البيانات المتوفرة عنه بناء على طلبه الخاص به.

وتعتبر هذه الأحداث الثلاثة المتفرقة بمثابة إنذار تنبيهي عن تعلق الأحلام البشرية التي تسعى لمزيد من العدالة والديمقراطية الرقمية، والتي تحولت إلى ما يشبه الكابوس، عن تعلقها بالطموحات الرقمية، والإمكانات الرأسمالية المتزايدة، فهي لم تعد كذلك، مع النمو المتزايد للشركات والمؤسسات التي تقوم بترويض وتدجين الكائن البشري، وفي المقابل تقوم بتسمية كل شيء، وجعله يندرج ضمن شبكة كبيرة من التسميات والرموز المختلفة والدالة؛ الأمر الذي أنتج فائضاً في السلوكيات البشرية المكتسبة، جعلت الشركات الكبيرة والرائدة مثل جوجل تجري الكثير من الدراسات في هذا الشأن، كما هو الحال في السابق مع شركة فورد، أو جنرال موتورز... وغيرها، وهو ما أنتج نمطاً اقتصادياً جديداً، أصبحت بموجبه شركة جوجل رائدة في مجالات مختلفة من بينها الرقابة الرأسمالية، كما أصبحت نموذجاً يحتذى به من قبل الكثير من الشركات الصغيرة والناشئة، من نواحي مختلفة، كالإنتاج على البحث، والاكتشافات المختلفة، أو ظهور لغة ومصطلحات جديدة غير مسبوقة، وغير مستخدمة في السابق، مما يوحي بأن السلطة التي تؤسسها الشركات ذات أبعاد مختلفة، ولا تقتصر فقط على جانب واحد دون الجوانب الأخرى. وربما أهمها كما كانت تطمح هذه الشركات في بداياتها هو نشر الديمقراطية والمعرفة في المجتمعات المختلفة، ومن ضمنها المجتمعات والأنظمة الشمولية، وذلك عن طريق نشر المعرفة والمعلومة للجميع، وهو ما أتاحت لهذه الشركات في الجانب الآخر أن تستغل هذه المعلومات واستثمارها، فهي تعمل على جهات متعددة أو أكثر من جهة، وليس من طرف واحد، يمكنها من خلاله توزيع سلوكيات المستخدم المختلفة إلى الكثير من المؤسسات والشركات التي تعمل في هذا المجال.

وفي هذا المجال، من الضروري تلخيص الخطوات المختلفة للرقابة الرأسمالية (ص: ٩٣)، حيث نجد أن هناك منطلقاً يقف خلفها، يعتمد على أخذ المعلومة أو السلوكيات من

طرف إلى أطراف أخرى، أو أطراف متعددة. يتم ترجمة هذه المعلومات أو البيانات إلى عدد كبير من الدراسات والبحوث والإعلانات المختلفة التي تخاطب هذا المستهلك بهذه الصيغة دون غيرها، وهو ما يمكن هذه الشركات من تحويل هذه السلوكيات إلى سلع تباع في أسواق الشركات التجارية، حيث أنها تتحول لمصدر دخل كبير للشركة التي تمتلك هذه المعلومات الخامة التي لم يتم استخدامها أو استغلالها.

وفي الجانب الآخر، فإن معنى الإنتاج قد تغير أيضاً في هذا السياق؛ فالمنتجات لم تعد ملموسة كما هو السابق، بل أخذت منحى آخر، واتجاهات مختلفة، فهي تعتمد على المنتجات غير المرئية، حتى وإن كانت هذه المنتجات مرئية في جانب من جوانبها، ذلك أنها تأتي من آلات ذكية، مبرمجة بشكل دقيق، وكبير، وربما لا يقبل الخطأ. وهو ما أثر على موضع السوق أو مكان بيع هذه المنتجات، فهي ليست كما في السابق تباع في مكان معروف، بالرغم من وجود هذه الأسواق بكثرة.



مع سيطرة الأخ الأكبر الرقمي على كل مفاصل الحياة. إضافة لذلك، نجد أن هذه التقنيات الجديدة بالرغم من كونها توفر الكثير من الخدمات والتسهيلات المريحة للجنس البشري، فإنها تهدد الليوتوبيا التي أخذتها التقنية على عاتقها، بما فيها تقليص الخيارات الفردية التي كانت متوفرة فيما مضى؛ فالاهتمام العام للجمهور يتركز في الفترة الأخيرة على الكثير من القضايا مثل الخصوصية، ورغبة تقليص السيطرة، والتقليل من الاحتكار، والتدخلات الكثيرة من أطراف مختلفة، وافتاء التدفق الكبير للمعلومات المضللة، والخوف على المساحة المتوفرة من الحرية.

لا تقتصر هذه الرقابة الرأسمالية على وسائل التواصل فقط، بل تمتد إلى منتجات تقنية مختلفة، كما هي الحال في الألعاب الإلكترونية التي أصبحت منتشرة في كل الأماكن: الافتراضية والواقعية، والتي يمكن من خلالها الربط بين فائض السلوك والسيطرة النفسية. فبمجرد بدء اللاعب بتحميل الألعاب أو البدء بها، فإنه يخرج من الواقع المعيشي إلى واقع ملفق، أو مُخترع، كما حدث في الفترات السابقة مع اللعبة الشهيرة «بوكيمون جو» والتي تسببت بالكثير من الأحداث الغريبة، والملفتة للنظر إلى درجة كبيرة. ففي تلك اللعبة على سبيل المثال يعتقد اللاعبون بأنهم يلعبون لعبة واحدة، مؤلفة من واقع واحد، في حين أن هناك الكثير من الجوانب والأبعاد غير المرئية التي لا تظهر للمستخدمين، والتي من خلالها يتم تخزين، وتجميع الكثير من البيانات الشخصية الخاصة بالمستخدم.

وفي النهاية، من الممكن اعتبار هذا العمل الذي قضت الكاتبة في تأليفه سنوات طويلة، ومن خلاله استخدمت الكثير من العلوم المتداخلة كعلم النفس والحاسوب وغيرها، وبحسب الكثير من الآراء المختلفة، بأنه يدق ناقوس الخطر أمام الاجتياح الرقمي والتقني لكل مفاصل الحياة المعاصرة، والتي لا تقتصر على مجال دون الآخر، بل طالت كل المجالات: التجارية، والطبية وغيرها. إن هذا الاجتياح بالرغم من الكثير من الإجراءات التي تحيط به، فإنه يقتحم الخصوصية الفردية، ويقوم بإعادة تشكيل الكثير من القيم التي تأسست عليها المجتمعات الحديثة كالفردية، والحرية... وغيرها.

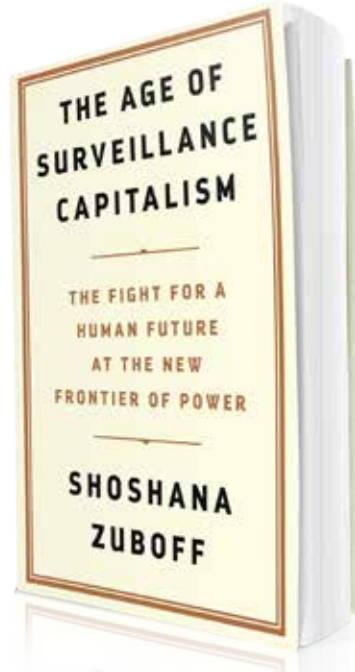
• **الكتاب: عصر الرقابة الرأسمالية.**

• **المؤلف: شوشانا زوبوف.**

• **الناشر: Profile Books ;2019, بالإنجليزية.**

• **عدد الصفحات: 690 صفحة.**

\* كاتب عُمانى



الزمنية السابقة، لأنه مع دخولنا العصر الرقمي أو المعلوماتي الجديد، وبالرغم من وجود نسبة كبيرة من الحرية للوصول إلى المعلومات، فإن هناك تهديدا كبيرا يواجه الأنظمة الاجتماعية في الكثير من بقاع العالم المختلفة، وبشكل خاص في الأنظمة الديمقراطية. واذ اخذنا بالحسبان نسبة المعلومات المتوفرة عن البشر فيما بعد 2013م، نجد أن نسبة كبيرة من هذه المعلومات قد أصبحت متوفرة في الشبكة العالمية الانترنت، وهي من الممكن استخدامها كطريقة أو وسيلة لمعرفة كل ما يتعلق بالأفراد في تحركاتهم المختلفة. في المقابل، نجد أن النظام الديمقراطي قد سعى منذ البداية أو منذ فترات طويلة للتقليل من فجوة اللامساواة، وتعزيز العدالة الاجتماعية والاقتصادية التي تعتبر الدعامة الأساسية والهامة للنظام الديمقراطي، وهي ليست موجهة لأولئك الذين نعرفهم، بل وبشكل خاص أيضا للجماعات المهجولة، تلك التي لا تؤثر في مجريات الأحداث السياسية والاقتصادية وغيرها، ولكن لها كيانات، ووجود، وهويات مستقلة، ومغايرة.

وفي الجانب الآخر، فإن الرقابة الرأسمالية أسهمت في تقويض الديمقراطية من الأسفل أيضا، وذلك عن طريق تهديدها المستمر للحرية التي تعني حرية الإدارة، والقيام بأشياء أو أفعال غير متوقعة، وليست خاضعة للقياس، أو المعايير السابقة أو المتعارف عليها، فهي تمارين بشرية على قدرتنا على الفعل، أو الإدارة، غير أن ذلك يتنافى مع القدرة على التنبؤ أو التوقع أو القياس التي تعتمد عليها الشركات والمؤسسات التقنية المختلفة، وهو ما يعني أن المزيد من اليقين والوثوق لهذه الشركات يقابله القليل من الحرية أو القدرة على التحكم بالنفس. وفي المقابل، فإن الاستقلالية أو حرية الإرادة أصبحت في مواضع حرجة،

السنوات المقبلة، ذلك لأنه سيظهر الكثير من العناوين الالكترونية، والكثير من الأجهزة الحساسة وأشياء سلبها جميعا، أشياء تتفاعل معها بشكل مباشر، ستكون جزءا من الحضور البشري في السنوات القادمة. فبإمكانك أن تتخيل بأنك تمشي في الغرفة وبأن هذه الغرفة تتفاعل بشكل ديناميكي معك بشكل لحظي ومباشر.

فبالعودة إلى خطابات سابقة، ومؤلفات ما قبل هذا الخطاب، نجد أن شميدت يقوم بإعادة صياغة خطابات قيلت سابقا بطرق مختلفة تذهب في نفس السياق، وهذه اللغة يتم تأكيدها في كل حديث يخرج من أباطرة وادي السليكون والمدراء التنفيذيين لشركات التقنية الكبيرة في العالم.

لكنه، وبالعودة إلى معنى الإنتاج عن طريق المرور بأدوات جديدة، نجد أن هذا المعنى قد تغير إلى درجة كبيرة، وربما جذرية، حيث إنه يعني تعديل السلوك البشري وتهذيبه، فعن طريق هذا التعديل من الممكن استبدال الثقة، ومفهوم العلاقات بين البشر والآلة بشكل شبه طبيعي. وهذا يجعل الحديث عن أنواع السلطات أو القوى حديثا لا يمكن تجاهله أو القفز فوقه، لأن هناك حديثا منتشرا عن وجود الأدوات في التنبؤ بالسلوك البشري، من حيث السيطرة عليه والتحكم به، من خلال الكثير من الأدوات والأجهزة التقنية المختلفة، وذلك عن طريق جعل هذه السلوكيات متوقعة، مقاسة ضمن الخط التاريخي أو التجارب السابقة للفرد. ومن هنا يتحول المشترك من فرد يتسوق، ويتجول، ويكتشف الحياة، إلى شخص يتم التعامل معه من قبل الشركات المختلفة، والمؤسسات التجارية إلى مشترك أو مستهلك مستهدف في كل تحركاته ليس من الشركات التجارية فقط، بل يتم استخدامه حتى من قبل الأنظمة السياسية التي وللغريبة تنتمي لمختلف اتجاهات حكم مختلفة، منها ما هو ديمقراطي أو بعضها شمولي أيضا.

وفي هذا السياق، نجد أن الشمولية كنمط حكم سياسي، يعتبر حسب الكاتبة، بأنه في طريقه للعودة من جديد، ولكن بطرق مختلفة، وأشكال تقنية ليست كالسابق؛ ذلك لأن الديمقراطية يعاد تشكيلها في الفترة الحالية، كما يعاد تهذيب الكثير من أبعادها وطموحاتها، وبشكل خاص في ظل الحديث عن الخصوصية، كما يتم طرحها من قبل الكثير من المختصين في التقنية، وعلماء الاجتماع، وتساعد التحذيرات من المساس بها، وتسليعها كما هو الحال في السلع الأخرى المنتشرة في المحلات التجارية.

هذه الرقابة لا تقوم فقط بتقويض الديمقراطية من الجانب السفلي، بل تعمل أيضا على الجانب الفوقي لها، وذلك عن طريق تعميق اللامساواة بين الأفراد والطبقات في المجتمع الواحد، ولكن ليس بالمعنى القديم والتقليدي للتقسيم حسب العمل، أو كما كان في الحقب

# إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)



- الكتاب: «جعل العالم عزيز المنال»
- المؤلف: هارتموت روزا
- الناشر: دار لاديكوفيرت فرنسا, 2020
- عدد الصفحات: 144 صفحة

يبدو أن المشروع الثقافي للحدائق قد وصل إلى ذروته: العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي والسياسي، جعل الناس والأشياء متاحة بشكل دائم وغير محدودة.

ولكن في حين جميع التجارب المحتملة والثروات الموجودة تبدو في متناول أيدينا، فإنها تنفست فجأة مُتمنعة، ويصير العالم منغلقا في ظروف غامضة، ويصبح غير مفهوم وأصم. توضح الكارثة البيئية أن غزو بيئتنا يشكل بيئة معادية، ويكشف ظهور أزمات غير منتظمة عن العبث البشري المتمثل في الرغبة الملحة للسيطرة على كل شيء؛ مما يؤدي إلى انتشار الغوض. وبما أن وعود الوفاء تتحول إلى أوامر للنجاح ورغباتنا إلى دورات لا حصر لها من الإحباط، فإن السيطرة على حياتنا تهرب منا. يقول هارتموت روزا: إذا كان الأمر كذلك، فإن أسلوبنا العدائي في التعامل مع الطبيعة والناس والجمال من حولنا يجرمنا من كل تجارب وأنسجام معنا. وهنا يكمن التناقض الأساسي الذي نتخط فيه منذ بداية الثورة الصناعية، والحل لا يمكن إلا بمبادرة صغيرة وهي إعادة ابتكار علاقة جديدة مع البيئة قبل أن تصبح عزيزة المنال.



- الكتاب: «إدغار موران.. مغامرة فكرية»
- المؤلف: تحت إشراف جان فرانسوا دورتييه ولويزا يوسف
- الناشر: منشورات مجلة العلوم الاجتماعية, فرنسا, 2020
- عدد الصفحات: 192 صفحة

يعرف الجميع إدغار مورين، الاسم اللامع والفكر الملتزم، لكن ماذا عن العمل؟

ليس الفيلسوف، ولا عالم الاجتماع، ولا عالم الأنثروبولوجيا إدغار موران مقتصرًا على هذه الصفات، إنه المفكر المفعم بالحيوية، الشغوف بكل أنواع المعرفة، وجميع التخصصات، رافضا الانغلاق الذي يشوه معرفة الإنسان.

إن عمل إدغار موران ضخم ومتعدد الأوجه. افتتح في البداية العديد من المشاريع في الأنثروبولوجيا (مقالة عن الموت)، ثم في علم الاجتماع (الثقافة الجماهيرية، الشباب، علم اجتماع الحاضر)، السينما، الشائعات، طبيعة الاتحاد السوفيتي، قبل أن يكرس نفسه لمشروعه العظيم: نظرية التعقيد.

لأن وراء انتقائته الواضحة يكشف عن وحدة عميقة: مقارنة تعقيدات الإنسان - الموزعة بين مختلف القوى التي تتوحد وتتعارض داخله. كما يبسط هذا الكتاب المهم الضوء على تماسك فكر تيزعم وولد ونما طوال قرن من الاضطرابات التاريخية والاكتشافات العلمية والحروب والأزمات.



- الكتاب: «المناخات الماضية.. المناخات المستقبلية»
- المؤلف: جان جوزيل
- الناشر: منشورات CNRS فرنسا, 2019
- عدد الصفحات: 96 صفحة

أصبح تأثير الاضطراب المناخي وكثافة الأنشطة البشرية على مناخنا أكثر وضوحًا، ويشغل مكانة متزايدة في حياتنا اليومية. تعد مكافحة ظاهرة الاحتباس الحراري تحديًا حقيقيًا؛ إنه تحدٍ وضعه جان جوزيل طوال حياته العلمية. وقد سمح له تحليل الجزيئات المأسورة منذ ملايين السنين في قوالب الجليد التي نقب عليها في الأراضي القطبية، رفقة علماء الجليد الآخرين، بمقارنة درجات الحرارة وتكوين الغلاف الجوي في أوقات مختلفة. وشهدوا لأول مرة على أهمية تأثير الاحتباس الحراري في ظاهرة ارتفاع درجة حرارة الأرض.

وفي هذا الكتاب الواضح والمدعم بالحجج والبراهين، يخبرنا جان جوزيل عن مسيرته العلمية، ومنجزاته، والتزامه بتغيير المناخ، كما يقدم لنا بطريقة بيديولوجية دراسة المناخات السابقة لمعرفة المناخات المستقبلية وفهمها بشكل أفضل.



- الكتاب: «أسس الحياة الاجتماعية»
- المؤلف: موريس غوديه
- الناشر: منشورات CNRS فرنسا, 2019
- عدد الصفحات: 96 صفحة

ما هي العلاقة الاجتماعية؟ هل هناك "جوهر" للإنسان؟ ما هي نظم القرابة المختلفة؟ ماذا يعلمنا الموت عن حياة البشر؟ ما هي، في نهاية المطاف، في نظر عالم الأنثروبولوجيا، أسس الحياة الاجتماعية؟ لمعالجة هذه الأسئلة التي تشكل موضوع الدراسات الاستقصائية الميدانية وجوهر التفكير في العلوم الاجتماعية، يحدد موريس غوديه على وجه الخصوص خمسة شروط مسبقة للوجود تحدد "الطبيعة البشرية"، وتُضاف إليها دائمًا خاصية لا يمكن الطارئة والمفتوحة لتصبح تاريخية.

لفهم المجتمعات البشرية في تنوعها، يعود موريس غوديه بطريقة حيوية إلى أهم معالم أبحاثه، مدافعًا في الوقت نفسه عن كل من الانفصال المنهجي ومعنى الالتزام، ومحددًا نوعًا من خطاب ما بعد الحدائق، وصورة لعالم الأنثروبولوجيا.

## آخر الإصدارات في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)



- الكتاب: «بين اليوتوبيا والواقعية: فكر يوديث شكلاز السياسي»
- المؤلف: تأليف جماعي تحت إشراف سمانتا أشندن وأندرياس هيس
- الناشر: مطابع جامعة بنسلفانيا، 2019
- عدد الصفحات: 304 صفحات

هذه فيلسوفة ومفكرة سياسية أمريكية من أصل ليتوني (1928-1992) لا نعرف عنها حتى القليل في العالم العربي، ولم يُترجم لها شيء إلى لغة الضاد. لا نكاد نعرف عنها عربيا اللهم إلا ما نقل عنها من نقد لكتاب الرسائل الفارسية لمونتسكيو من أن: "ما كان الشرق كما يتبدى من خلال الرسائل الفارسية حدوداً جغرافية بقدر ما هو كابوس يجسد كل مساوئ الإنسانية". ونحن نرثي لحال ثقافتنا العربية التي لا تستطيع أن تترجم من كتب الفلسفة اللهم إلا عشرة بالمائة، وأغلبها رطانات غير مفروءة. ومفكرتنا هذه من أهم منظري الفكر الليبرالي، في ما بين عهد الإعلان عن "نهاية الإيديولوجيا" في الخمسينيات من القرن الماضي وعهد الإعلان عن "نهاية التاريخ" في التسعينيات منه، حيث نظرت إلى الليبرالية، وعلى عكس أقوى منظري هذا المذهب، من وجهة نظر ضعفاه وضحاياه. وهذا الكتاب قراءة ضافية من مجمل مساره الفكري، ولا سيما في تصوراته للنظرية السياسية والعلاقات الدولية والقانون. ولعله يكون من أفضل المداخل إلى فكرها. وقد دارت محاور الكتاب على نقدها لليبرالية الحرة الباردة، وتأويلها لأهم الفلاسفة الذين أثروا في حياتها شأن مونتيني الشكاك الفرنسي، وتصورها للأخلاق الليبرالية، وللإلزام السياسي، وللظلم، وللقسوة، وللمنفى. كما دار الكتاب على نظريتها القانونية وعلى دور النفسانيات في السياسة وعلى نزعتها الريبية العميقة.



- الكتاب: «الميتافيزيقا: مدخل إلى النقاشات المعاصرة وتاريخها»
- المؤلف: أنا مارمودورو وإرساسموس ماير
- الناشر: مطابع أوكسفورد الجامعية، 2019
- عدد الصفحات: 240 صفحة

كثيرا ما ظلمت "الميتافيزيقا" في الفلسفة الحديثة والمعاصرة: من دعوة هيوم إلى إحراق كتبها إلى مناداة كارناب بالتخلص منها بحسبانها لغوا من الكلام، مروراً بحديث كانط عنها باعتبارها السيدة النبيلة العجوز التي فقدت كل مقوماتها، لكن هذا لم يمنع من الحديث عن "عودة الميتافيزيقا" عودة قوية، بحكم أن مصير الإنسان أن يكون "حيوانا ميتافيزيقيا"، حتى وهو يهاجم الميتافيزيقا. وهذا الكتاب يلقي نظرة شاملة عن أهم قضايا الميتافيزيقا - هذا المبحث الفلسفي القديم المتجدد أبداً. وهو يركز على قضية الجواهر والصفات والماهية والعلية والجبرية وحرية الإرادة. وحتى إن كان المؤلفان ينتصران إلى وجهة نظر أرسطو في هذه القضايا، فإن هذا لم يمنعهما من عرض وجهات النظر في هذه القضايا في تنوعها واثرائها. كما لم يؤدي بهما تبني موقف قديم من الانفتاح على مستجدات النقاش في شأن الميتافيزيقا، لا سيما في المجال الأنجلوسكسوني. مدخل أساسي لهذا المبحث الفلسفي، وعون للمتخصص على تجميع أشعث الأنظار في الميتافيزيقا.



- الكتاب: «قراءة التوراة في السياق الإسلامي»
- المؤلف: تأليف جماعي
- الناشر: راوتليدج، 2019
- عدد الصفحات: 338 صفحة

اكتسبت طائفة من المتخصصين في الأديان لمعارضة قراءتهم للتوراة على بعضهم البعض، تبعاً لتقاليدهم وخطاباتهم الدينية المختلفة. وقد انطلق هؤلاء من اعتبار التوراة "مكتوباً مقدساً" يفتح آفاقاً متعددة للقارئ، واختص القسم الأول من الكتاب بمقارنة المرويات ذاتها الواردة في التوراة وفي القرآن. وتناول القسم الثاني من الكتاب القراءات الإسلامية والإسرائيلية، وركز على نظرة المسلمين إلى كتاب اليهود المقدس، وعلاقة معانيه بالمعاني الواردة في كتاب المسلمين المقدس. وقد ركز القسم الثالث من الكتاب على مختلف "المماثلات" الواردة بين كتاب اليهود وكتاب المسلمين، وتشابهات آليات فهمهما وتأويل ما ورد فيهما. وقد ختم الكتاب بالحديث عن التحديات المطروحة بهذا الصدد. كتاب يفتح أمقا جديداً للنظر في تعالق المرويات والنصيات في الديانات الثلاث - اليهودية والمسيحية والإسلام - بروح بعيدة عن التشاحن العقدي.

## آخر الإصدارات في اللغة مالايالام (فيلابورتو عبد الكبير)



- الكتاب: «أشجار سدره المنتهى في حدود باكستان»
- المؤلف: أ. رشيد الدين
- الناشر: Chintha Publishers, 2019
- عدد الصفحات: 304 صفحات

رحلة شيقة ومفيدة قام بها الإعلامي المعروف بتحليل الشؤون السياسية رشيد الدين داخل باكستان، الدولة التي أصبحت بعيدة رغم قربها بالنسبة لهندي عادي. وقد مر أكثر من سبعين سنة منذ تقسيم الهند ولكن الجروح التي أدمت بها قلوب شعبي الهند والباكستان لم تزد حتى الآن. المسافة من دلهي إلى لاهور عبر الطائرة بضع دقائق فقط؛ إذ لا تزيد على ٤٢٦ كيلومتراً. وهما دولتان تتشاركان كثيراً من التشابه الجغرافي واللغوي والثقافي. اللغات الأردية والبانجابية والسندية هي من اللغات الراجحة تتحدث بها عامة الناس في كلتا الدولتين. وفي باكستان توجد أماكن مقدسة للشيخ يحجون إليها كل سنة. ولكن العلاقات بين الدولتين للأسف دائمة التوتر. بعيداً عن هذه التوتر على السطح الحكومي ينسخ الكاتب مشاعر الحب والصدقة المخضرة التي جربها خلال رحلته في لاهور ومظفر آباد وبيشافار وكراتشي إضافة إلى إلقاء الضوء على التطورات السياسية داخل باكستان. ومن هذه الحيثية فهي ليست رحلة نزهة عادية لزيارة الأماكن السياحية ولكن رحلة سياسية غنية بمعلومات جمة عن الحالات السياسية التي تمر بها باكستان.



- الكتاب: «الفاشية الهندوسية والقومية والعنصرية وكيفية مقاومتها»
- المرّب: صمد كوناكافو
- الناشر: حركة التضامن للشباب، كوزيكود، 2019
- عدد الصفحات: 429 صفحة

مجموعة دراسات جادة كتبها باحثون مشهورون في كيرالا حول الفاشية الهندوسية الأخطبوطية وأطيافها المتنوعة بتحليل جذورها القومية العنصرية الجنوبية بحثاً عن طرق مقاومتها باتخاذ سياسة إيجابية موحدة. القسم الأول من المقالات يناقش أصل الفاشية وأصولها وتحدد طبيعتها من خلال تعريفها تعريفاً شاملاً. توجد فيه مقالات تحت عناوين "جذور القومية الهندية" و"علاقة الديانة الهندوسية بنظام الطبقات" و"ماذا تقول الأساطير الهندية عن الديانة الهندوسية" و"بطلان الوحدة الوهمية في أتباع الديانة الهندوسية" و"رؤية الروحاني نارايانا جورو المعتدلة عن الديانة الهندوسية".

# حالياً في الأسواق..

## مجلة التفاهم

عنوان العدد: وحدة الأمة : الأخطار والمبادرات

عبد الرحمن السالمي

### مدن وثقافات

- من بومباي الى مسقط: عُمان والهند والخليج في رحلة  
الأمريكي لوكر Locker عام 1866م - أحمد السعيدي

### الإسلام والعالم

- الاسلاموفوبيا: من الخصوصية والمفارقة إلى الكراهية  
إعداد: رضوان السيد

### المحاور

- المقولة القرآنية في وحدة الأمة وتجاوز الأخطار والمخاطر - رضوان السيد
- التفرقة والفتنة ومعالجتهما في الكتاب والسيرة النبوية - كيان أحمد حازم يحيى
- الشعوبية في تاريخ الإسلام الكلاسيكي - نبيل فازيو
- الشعوبيات في الزمن الحديث للدولة الأوروبية: نماذج الفاشيات - أحمد زايد
- حركات الإنجيليين الجدد: معنى ظهورها وانتشارها - عز الدين عناية
- الشعوبيات اليمينية القومية والدينية في العالم المعاصر- الأسباب والتداعيات - ياسر قنصوه
- خطابات الشعوبية في الفكر السياسي المعاصر - الزواوي بغوره
- الشعوبية وظواهرها في المجتمع والدولة - عبدالفتاح الزين
- الحركات السياسية - الدينية في الإسلام المعاصر : الظهور والتداعيات - صلاح الدين الجورشي
- الفلاسفة المعاصرون ومسألة الشعوبية: قراءة في آراء ستة فلاسفة - محمد الشيخ

### دراسات

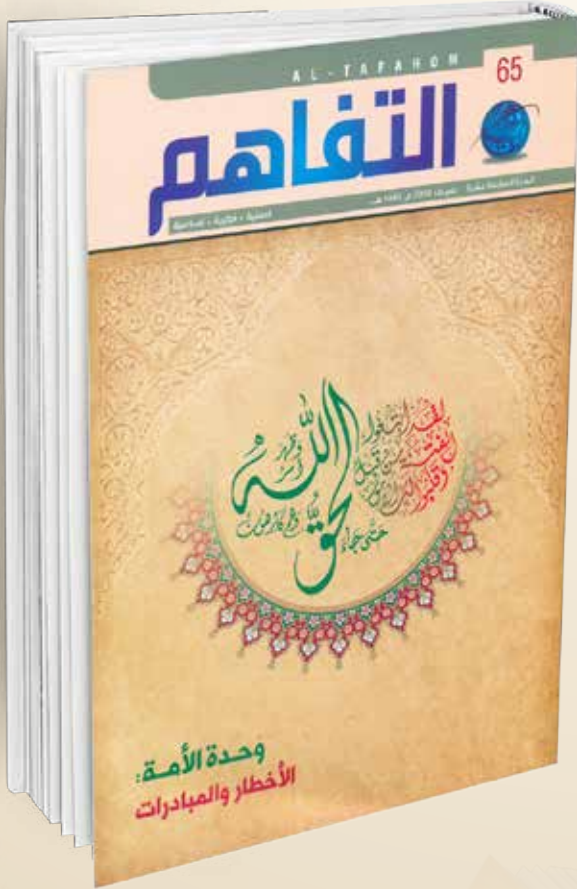
- حول الأدب المقارن - أحمد درويش
- السيميائيات الراهنة وسؤال المعنى - أحمد يوسف
- عن الترجمة - محمد عناني
- السرديات : مسارات وإبدالات - محمد بوعرة

### وجهات نظر

- " حقوق الإنسان " وقضايا المجتمع - أمل مبروك عبدالحليم

### آفاق

- نظرة الإسلام لحرية المعتقد كقاعدة صلبة للتعايش - قدور سلاط
- الذات والمستقبل جدلية الوافد والموروث - عيضان السيد علي



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 +968 , فاكس: 24605799 +968

البريد الإلكتروني: www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com